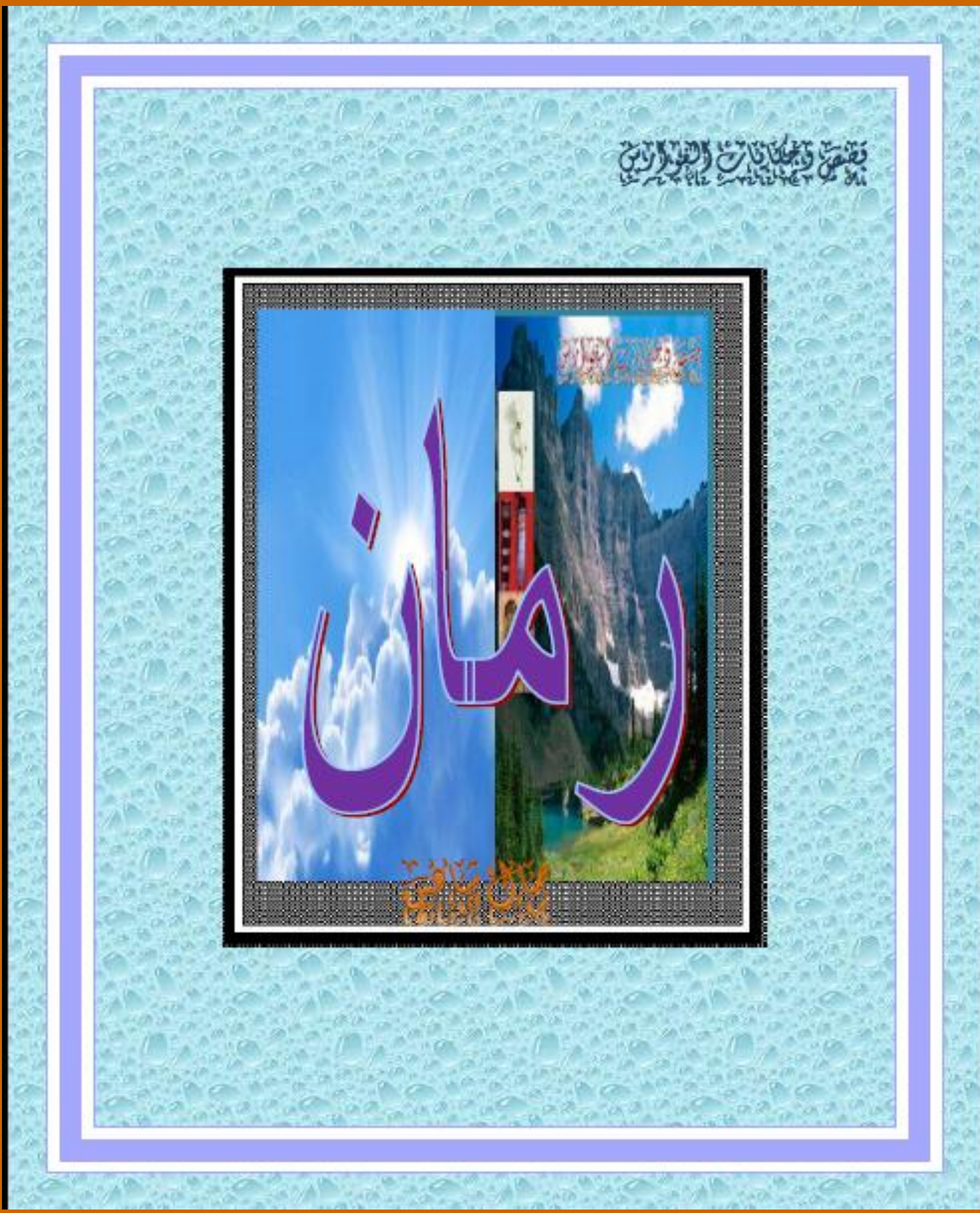




جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم



جمال شاهين





اغتيل أبوه وتزوجت أمه

فاحترف اللصوصية وتعدى على أموال الملك

وسرق افضل جواد في البلاد

وهرب لمدينة أخرى

فقبض عليه وحبس فيها

واستطاع القاضي من إصلاحه

واصبح من فرسان المدينة

فعاد لبلده شوقا وحنيينا

وظهر فيها بطلا وفارسا

ولما مات رفيق دربه كشف أمره

فتعرض للقضاء فكان القاضي أخاه

فترك الحكم للشعب

فما حكم الشعب على رمان


رُهان

رُمان

الحياة صراع عجيب ، ربما يدفع هذا الصراع المرء لحياة الأشرار ، فيصبح شريرا يشار إليه بالبنان في الشر والعدوان ، وقد يستيقظ الشرير ذات حين فيعود رمزا للخير وإغاثة الضعيف والملهوف ، وقصة رمان فيها هذه المعاني ، فهو يعتبر السرقة والنشل والخطف بطولة ورجولة ومجالا للفخر، ولسماع مدح الشعار، وكان يرى في سرقة الأغنياء نوعا من العدالة ، وأخذ حقوق المساكين والفقراء ، فصار محترفا للصوصية ولصا يشار له في ذلك ، وكان يسمى هذا اللص عند إخوانه اللصوص والزعانف والزعران " الشاطر رمان " ويلقب بـ " غضب الليل "، ويسميه رجال الشرطة بـ" سيد الحرامية والزعران " ، في مدينة كسروان ظهر الشاطر رمان ، وبدأ حياته الأولى ، وهي من المدن العظام في ذلك الزمان ، بدأت حكايته منذ عهد الطفولة ، هجم على البيت رجال وخطفوا أباه من غير رحمة وحنان ، يتذكر رمان بن سنهار أنه كان صغيرا دون السنوات العشر الأولى من العمر ، بكى أمام الخاطفين ، وتوسل إليهم أن يدعوا أباه ، فرفسوه بأقدامهم إلى الأرض بكل قسوة وعنف ، ولطموا أمه عدة لطمات ، وضربوا أخاه الأصغر منه عدة صفعات ، وأخذوا الأب من بينهم واختفوا ، قيل إنهم لصوص ، وقيل إنهم من رجال الحاكم حاكم مدينة كسروان .. كبر الحقد والكره على المجتمع في قلب الصغير .. تزوجت الأم بعد سنوات، لم يطق رمان الحياة عند زوج الأم ، فكان يهجر البيت بالأيام والشهور ، ادخله زوج الأم الكتاب مرات ؛ ولكنه لم يصبر على تحصيل العلم ، فكان حلمه وهمه أن يكبر ويثأر من خاطفي أبيه ، وينتقم من كل أشرار الدنيا أحب المال وزوج أمه كان فقيرا ، فذهب لسوق العمل .. فعمل حينا عند حداد ثم تركه ، وعمل عند بزاز وباع ثوبا ، فأنكر ثمنه فصرفه البائع بسلام .. اشتغل حمالا في البحر ، فكان كثير العراك مع الحمالين والغلمان ، فضرب يوما أحد أبناء الأغنياء فقادته الشرطة وأوسعته ضربا وإيذاء ، فكبر الحقد والحسد ، وحاول العمل في الشرطة والجيش فرفضوه بزعم عدم الحاجة لمزيد من الشرطة والجيش .. شرب الخمر يوما فقضى في السجن أياما مع

الضرب والإذلال ، فما أصبح له من السنين خمسة عشر عاما حتى كان من زعران كسروان ، اعتادت أمه وزوجها على غيابه، فلم يعودوا يكترثون له ولمشاكله .

كسروان مدينة ممتدة على ساحل البحر ، وهي مجموعة عملاقة من الجبال، وتقع دار الحاكم والإمارة في أقصى المدينة على جبل عال ، وفي وسطها تقع الأسواق المتعددة ، والبيوت منتشرة على الجبال وأطراف الوديان ، وساحاتها كثيرة وكبيرة وحدائقها كثيرة ، فبعد أن فشل رمان في العمل وجد راحة في النشل والسرقة والنصب والدجل فعمل مع "سواح " ، وهذا الرجل كبير مجرمي المدينة، فهو مجرم محترف يحسب له رجال الشرطة ألف حساب ، التقى به رمان في أحد الأسواق ، فعرض السواح هذا على رمان اتباعه والعمل مع زمرته ، وأخذه إلى أحد البيوت القريبة من الجبال وقال له : هذا بيتي .. وأنا زعيم عصابة من اللصوص وقد أحببت أن أضمك إلينا ، فنحن مملكة داخل مملكة ، فقد ذكرك لي بعض الرجال الذين يعملون معي فسعيت للقائك ، فتنكرت ونزلت السوق أراقبك ورأيتك في سوق الليمون وأنت تنشل ذلك الرجل المسكين فأمسكت بك ، ولما ذكرت اسمك تذكرتك ..فما تقول بالعمل تحت إمرتي أيها الغلام ؟

قهقهة رمان وقال: لست غلاما أيها السيد الكبير! وقد سمعت بك ، وسمعت أنك تقتل الناس .

فضحك سواح وقال : أيها الفتى .. الذي يعمل مثل هذا العمل لابد أن يتعرض لهذه الأمور.. لا تخاف الدم .. أنت قوي البنية والبدن.

فقال رمان : فتى ..لا بأس.. الآن أصبحت فتى .. أتريد يا سيد سواح أن تقاسمني ما نشلت اليوم ؟

أخذ سواح يضحك عاليا ثم قال : لا.. مبارك عليك ما نشلت .. نحن نسرق المنازل والجواهر.. أموال كثيرة .. أنت تسلب دراهم .. فأريد أيها الفتى أن أضمك للفريق.

صمت رمان فترة ثم قال : سأقبل العمل معكم ولكن كيف؟ وما دوري؟

فقال سواح الزعيم : أيها الغلام الكبير سأسميك غضب الليل ، فعليك أن تنسى ما سماك به أهلك .. وهذا البيت الآن بيتك ، في المساء يأتي الرجال من أعمالهم ومن ثم تتعرف عليهم وتعرف عملك معنا .. اذهب إذا أحببت إلى النوم ..قد يكون الليلة عندنا خبطة هنا أو هناك .

في الليل بدأ أفراد العصابة يتوافدون على المنزل ، كانوا حوالي عشرة من الرجال ، وبينهم صبي واحد من سن رمان ، اجتمع بهم سواح وبين لهم انضمام العضو الجديد رمان ، فرحبوا به ، وكان أسعدهم به الغلام الآخر لأنهما متقاربان في السن فتعاطفا سريعا ، وبعد ذلك سألهم سواح : ما الأخبار ؟

فقال أحدهم: أيها الزعيم الكبير.. الشرطة ما زالت تبحث عنك لم يهدأ الوضع بعد ، فقد علمت أن الأمر وصل للحاكم ، وأنه طلب من الشرطة القبض عليك بأي وسيلة وصلبك .

الذي تكلم هو نائب الزعيم واسمه عازل، وصمت الكل لما سمعوا كلام عازل، ولم يتكلم سواح، فتلفت رمان في الجميع ثم قال: هذا أمر خطير أيها الزعيم ما القصة؟!

لم يغضب سواح بل ضحك وقال: أيها الفتى .. لا تكن فضوليا .. عليك أن تأكل وتشرب وتنام.. وتطيع الأوامر.. ولا تسمع ولا تتكلم .. إنني أعذرك لأنك عضو جديد لا تتكلم إلا أن يؤذن لك .

لكن رمان كأنه لم يستوعب نصائح الزعيم فتبسم وقال : هذا تقييد للحرية أيها الزعيم فأنا أفضل أن أعمل وحدي .

فقال سواح بهدوء عجب له أصحابه : اصبر يا رمان ..آ .. يا عازل اكمل .

فأدرك رمان أن الحكاية لم تنته ، فعاد عازل يقول : علمت من بعض رجال الشرطة ما قلت لك.. إن الأمر جد خطير.. والحاكم يشدد في القبض عليك ، فعليك أن تحتاط كثيرا هذه الأيام ، أما بالنسبة للرجال الذين سقطوا في أيدى الشرطة فقد أوصلنا لهم الرسالة بعدم الكلام وإلا الموت الزؤام .

فقال الزعيم مبررا لجريمته : لو لم أقتل ذاك الرجل لقبض عليّ مثلهم .. مالي أرى

الرجال تتناقص من بيننا؟!.. في الضربة السابقة خسرنا رجلين ، وسجن أربعة ..وهذه الضربة ألقي القبض على أربعة آخرين .. فهل كبرنا وهرمنا ؟! ولم نعد نحسن العمل والتنفيذ! كم بقي من الرجال عندنا ؟.. هؤلاء الرجال عشرة ، وثمانية في السجن .. وأنا وأنت .. وهذان الغلامان اثنان وعشرون .

تناول الرجال الطعام والشراب ، ثم عادوا للجلوس حول الزعيم الذي خاطبهم قائلا : صندوق المجوهرات كيف نحصل عليه ؟؟..هل نرسل رمان للمحاولة يا عازل ؟! .. فالرجل ما زال يطلب الصندوق ، وسيدفع مالا كثيرا ، لقد قابلته في سوق الجواهر، وبينت له فشلنا ، فقال : إن العرض ما زال قائما بيننا .. ما تقول يا رمان ؟

فرد رمان بقوة وحماس واستعلاء واستعداد : أنا جاهز لأى ضربة ما دمت قد رضيت بالعمل بينكم ومعكم .. رغم جهلي بأسرار الشغل عندكم .

ضحك الزعيم وقال : عازل .. اشرح له أصول العمل عندنا.. والنظام المراعى بيننا والمقامات .. وارسم له خطة لمحاولة سرقة الصندوق الذي فشلت أنا بنفسي بالحصول عليه ؛ لعل حظه خير من حظي .. انصرفوا .

لقد كان رمان ذكيا وفطنا وناقما ؛ ولكنّ ذكاءه وقوته ظهرت في عالم الشر والفتن ، استمع إلى كلام كثير من عازل ، وعن تقاليد العصابة المتبعة، وعن نشاطها وأهدافها ، واقتنع ببعضها ، ولم يقتنع بأكثرها ، وخلاصتها الإخلاص والولاء الكامل للزعيم في الدرجة الأولى ، ثم للعصابة في الدرجة الثانية ؛ وقال لنفسه في نهاية الحديث : العمل مع هؤلاء خير وأفضل من العمل بمفردي .

وبعدما انتهى عازل من تعليم رمان آداب وتعاليم العصابة ، ذكر له قصة الصندوق الذي يقصدون سلبه ، وفقدوا أربعة من رجالهم وغيبوا غياهب السجن ، فقال عازل : تاجر ذهب ومجوهرات في سوق الجواهر طلب من الزعيم سرقة هذا الصندوق الممتلئ بالجواهر النادرة مقابل مبلغ ضخم من المال .. أرشدنا على بيت صاحب الصندوق ، وترك لنا حسن

التصرف ، ذهب الزعيم ومجموعة من الرجال قبل أيام لسرقة الصندوق ، وهم في دهاليز البيت اكتشف أمرهم ، وتمكن الزعيم سواح من الهرب بعدما قتل أحد الرجال الذين اعترضوه ، وأما الرجال الآخرون فقد قبض عليهم مثل الفئران الصغيرة .

فقطع رمان استرسال عازل وقال : وهل المنزل محروس ؟! ومن صاحبه ؟

رد عازل قائلا : المنزل بعد المغامرة الفاشلة علمنا أنه لأميرة من بلد آخر، وهي في ضيافة الحاكم ، وهي هاربة من بلادها لاضطرابات وقلاقل وفتن ، فتركها زوجها هنا وعاد لبلاده للقتال والحرب ، وكانت قد عرضت جواهرها على تجار السوق ، ولم يدفعوا لصاحبتها المبلغ المناسب ، فطمع فيها صاحبنا الجوهري ، ولنا علاقة طيبة معه ، ويشتري منا ما نسلبه ونسرقه فعرض الأمر على شيطاننا سواح ، وقمنا بالهجوم المفاجئ لنسطو على المجوهرات ، فيبدو أن حرسها كان مدركا لخطرنا، ففتحوا لجماعتنا الطريق ثم حاصروهم ، فدارت معركة استطاع الزعيم أن يفلت منها؛ ولكنه اضطر للقتل من أجل النجاة .. وسلم الآخرون للشرطة ، ووصل الأمر للحاكم .. والرئيس ما زال يرغب في الحصول على الصندوق .. ولا أدري أيها الشاب الصغير كيف ستحصل عليه ؟! ولكن يبدو أن الزعيم يثق بذكائك.

التزم رمان السكوت إلى حين ثم قال : هذه أول مرة أحاول أن أغامر مغامرة كبيرة كهذه ؛ ولكني سأحاول ، ولا تنظر لسني .. لقد مللت الشرطة في البحر وفي الأسواق .. اعلم أن أسهل عمل وجدته هو السرقة والنشل ، وأنا اكره الشرطة والحكام منذ الصغر ، ولابد أن اثبت لكم ذكائي وقدرتي، فلابد لي من سرقة هذا البيت؛ ولكن يا ترى هل بقي الذهب والمال في المنزل المقصود بعد فشلكم الذريع ؟!

فقال له عازل :هل لديك خطة للعمل؟! ولا أدري كيف يثق بك الزعيم ؟!

قهقهه رمان لحظات ورد فقال : مع الصباح سأجد خطة ..الآن دعني أنام لأفكر جيدا.

مع الصباح كان رمان يعرض خطته أمام الزعيم سواح ، واعجب بها الرجل أيما إعجاب ، وطلب منه تنفيذها على الفور ، فأخذه عازل وخرج به من بيت الزعيم ، وكانت

الخطة أن تذهب به امرأة أحد هؤلاء اللصوص إلى منزل الأميرة ، وتبيعه لهم على أنه رقيق حتى يجد فرصة يسرق بها المجوهرات ، وأخذته امرأة على أنه غلام استغنت عنه لحاجتها للمال فأرشدها الناس إلى بيت الأميرة ، وبالفعل اشترته الأميرة بمائة درهم فقط ، فقد كانوا بحاجة لغلام يخدمهم في البيت ولشراء حاجاتهم من السوق ، وبعد أسبوع من العمل كخادم صغير زادت ثقة الأسرة بالغلام الجديد ، واطمئنوا إليه أكثر، وهو يرصد تحركاتهم ، ويبحث عن الصندوق بخفة تامة؛ ولكنه لم يعثر عليه، ولم يسمعهم خلال الأيام الماضية يتحدثون عنه، وكان على اتصال بالعصابة أثناء شرائه الخضار والفواكه من السوق ، ذات ليلة سمع الأميرة تتحدث مع أحد رجالها عن المال، وكيف سيحصلان عليه لترسله لزوجها المحارب؟ وعلم أنها ستخرج بعض الجواهر لبيعها ، فاستطاع رمان بخبثه أن يعرف مكان إخفاء المال من غير أن يحسوا به ، ولما خرجت الأميرة بصحبة حرسها لتبديل بعض الجواهر بالمال ، قام رمان بسرقة الصندوق وما تبقى فيه من الجواهر، وخرج متعللا بشراء حاجة تخصه ، وأتى المساء ولم يعد ، وغاب أياما فلم يظهر رمان في البيت ، وبعد حين اكتشفت الأميرة ضياع مجوهراتها ، فصاحت وصرخت، وأخبرت الحاكم بالحيلة التي فقدت فيها كنزها ، فغضب الحاكم لها وقال لرئيس الشرطة: لم تقبض بعد على قاتل حارس الأميرة ..وها هم يسرقون مالها أمهلك أسبوعا واحدا لتعيد المجوهرات .. وراقب تجار الذهب والجواهر .. قد تجد الجواهر لدى أحدهم .

فرح الزعيم سواح لنجاح رمان في سرقة الصندوق، وكبر مقامه عند الزعيم ، وتعجب الآخرون من شجاعته وحيلته ، ولما نظر الزعيم للمجوهرات الموجودة في الصندوق دهش منها وأعجبته، وفكر بأن لا يبيعها للجواهري، ويحتفظ بها ويهديها لعشيقاته ثم قال :لا يستحققن لبس هذه العقود العظيمة.

ثم دفعها للجواهري الذي عهد إليه بسرقتها، وقبض مبلغا كبيرا زاد عن عشرة آلاف دينار، وقال لنفسه : هذا المال خير من الجواهر التي تحتاج لحماية وخزن .

وقسم على رجاله فتات المال ، ومنح رمان خمسمائة دينارا ، وطلب من رجاله الاختفاء بضعة أيام ، وطلب من عازل جمع الأخبار ، بعدما أخذ رمان المال الذي كسبه من سرقة مجوهرات الأميرة المهاجرة ، استأجر له عازل بيتا وفرشه واسكنه فيه، وقال له : هذا بيتك .. وكن على اتصال بنا.. وسيكون سادر نزيلا معك فهو من سنك فما تقول ؟

ـ يسرني ذلك .. وافعلوا ما شئتم رغم أني أحب سكنى المغارات والجبال .



أتى سادر وسكن مع صاحبه رمان ، وفرحا بحياتهما سوية ، وانسجما في الشراب والخراب ، ودخل عليهما يوما النائب عازل وهو مصفر الوجه مضطرب الكلام ، يهذي هذيانا لم يفقها منه شيئا ، فصاحا به : ما بك يا مجنون؟!

فأجلساه وقد بدأ الارتباك ينتقل إليهم ، فصاح فيهما : تسكران والشرطة قد قبضت على الزعيم وخمسة من الرجال!.

فطار من عيونهما السكر والخمر لهول ما سمعا .. وصاحا : ويلك! اخبرنا بالأمر.. وكيف أمسك به رجال الحاكم ؟.

فقال عازل متذمرا : أنا هذه اللعبة من أولها وأنا خائف منها ومتشائم !.. نصحت الزعيم بترك صندوق المجوهرات، فلم يسمع وصمم على سلبه .. فلو سمع لما تعرض الرجال للقبض ، وما قتل الزعيم ذاك الرجل .. فمن ذلك الفشل والأمر يسير ضدنا ويسير لصالحهم.. كنت ذاهبا كالعادة للقاء الزعيم لتلقي التعليمات والعمليات الجديدة ، وذلك في المساء، فوجدت الحي ممتلئا برجال الحاكم ، ثم شاهدتهم وأنا مختف يأسرون الزعيم وخمسة من الرجال ، فجئت إليكم لأخبركم ، ثم ابلغ الخطب لباقي الرجال حتى لا يذهبوا

لبيت الزعيم فيقعوا بأيدي رجال الحاكم والعسس.

في الصباح التالي كان الخبر ينتشر في مدينة كسروان ، وهو القبض على زعيم وكبير اللصوص في المدينة ، وعلم الناس أن الحاكم أمر بصلب سواح من غير حكم القاضي ، وعلم الناس بوقوع الجواهري بقبضة الشرطة ، ووجدوا بحوزته مجوهرات الأميرة المسروقة ، فأعيدت المجوهرات للأميرة ، وأصبحت العصابة بعد سقوط سواح على كف عفريت ، وطلب عازل من رجال العصابة الاختفاء سريعا ، وعلم رمان وصديقه سادر أن الزعيم سقط بعدما اعترف عليه أحد الرجال السجناء الذين سقطوا في المحاولة الأولى ، ولم يكترث بهم ولهم سواح فأرشد الشرطة حنقا وغيظا لمنزل سواح مقابل العفو عنه ، وبعد تفكير ونظر طلب رمان من النائب جمع الرجال ليضعوا خطة لإنقاذ سواح قبل صلبه وقتله ، وبعد تردد جمع عازل الرجال وهم سبعة في بيت رمان وسادر ، فخاطبهم قائلا : أيها الرجال علينا أن نفكر بإخراج سواح من السجن ، فهو زعيمنا فلابد أن نغامر من أجل إنقاذه أو نموت معه.. فليس مطلوب منا أن نجلس كالعجائز نندب حظنا .. فما عندكم من أفكار لتنفيذ هذا الأمر الخطير؟! .

خيم الصمت عليهم للوهلة الأولى ، ثم بدأت التمتمات بينهم ، ثم صاح عازل : هل لديك خطة معينة يا شاطر رمان ؟

قال رمان: عندي خطة .. منذ علمت بأمر سجنه .. وأنا أفكر بطريقه أخرجه بها من الحبس والقيد .. أفكر بضربة قوية ، وفكرت وفكرت فوجدت أن الحل صعب، ويحتاج إلى جراءة وشجاعة وإقدام وقلوب قوية .. فهل أجد هذه الصفات عندكم أيها الرجال ؟

فصاح أحدهم متحمسا: نحن رجالك .. أراك تصلح زعيما لنا بدلا من عازل الذي لم يحرك ساكنا .

فصاح رمان : نحن زعيمنا سواح .

فقال عازل : لن أرد أيها الرجل .. أنا اعترف أن مخي شل عن العمل !.. تصرف يا

رمان.. فأنت الزعيم والمخطط لنا في هذه المحنة حتى ننقذ زعيمنا سواح .

فقال رمان : ليس المهم من يكون زعيمنا الآن ؟ المهم إخراج الرئيس من سجنه .. اسمعوا سأدخل السجن أنا وسادر الليلة.. سأذهب أنا وإياه إلى القرب من السجن، ونتشاجر أمام حرس السجن.. فيدخلوننا السجن حتى الصباح ، ثم سيعرضوننا على القاضي صباحا كما هي العادة .. ولكننا تلك الليلة سنقوم بتخدير رجال السجن كلهم ، سنحصل على ملبس مخدر ، ثم سأقوم بتوزيعه على الحراس والجنود ، وأنتم مع منتصف الليل تكونون في انتظارنا أمام السجن بكل السلاح من السيوف والمدى ، ونأخذ الزعيم ورجالنا ونهرب به وبهم .. فقد يكون لا يستطيع المشي ما تقولون أيها الرجال ؟

وبعد صمت طويل قال عازل : هذه ضربة صعبة وتحقيقها صعب! .. وليس لنا إلا السمع والطاعة .

فقال الشاطر رمان : إذن احضروا لنا ملبسا محشوا بنجا.. اذهبوا للعطار سلمونة في سوق البخور ، واحصلوا على البنج ثم إلى صانع الحلوى لهلوب ليصنع لكم ملبسا بذلك البنج.. والليلة سأنفذ هذه المغامرة ما تقول يا سادر؟

قال سادر بحماس : أنا معك انفذ كل ما تريد وتدبر.



ولما هبط الظلام واشتد مشيا نحو سجن المدينة الأكبر ، وبالقرب من حرس السجن جرى بينهما شجارا وصراخا وضربا ، على أثره هرع حرس باب السجن وحبسوهما في غرفة على باب السجن حتى يرفع أمرهما لقاضي الحاكم أو أحد من نوابه ، واتصل رمان بسواح أثناء مشيه لمكان قضاء الحاجة ، ففرح سواح لخطة رمان وجسارته وقال :

إنك أجرأ من وقعت عليه عيني ! .. هل أحضرت الملبس المخدر معك ؟

فقال : نعم إنه في سروالي .

ولما عاد لحجرته المحبوس فيها ، قام بتوزيع الحلوى على الجنود والحراس موهما إياهم أنه بائع هذا النوع من الحلوى ، وبما أنه محبوس ولا يعرف ما سيجري له عند مثوله عند القاضي فقرر التخلص منها ، ووزع كمية على السجناء المستيقظين ، ومع انتصاف الليل كان كل من أخذ حبة حلوى يغط في سبات عميق ، وخرج سواح ورجاله بعد أن فتك سواح بالرجل الذي فسد عليه ، ولما أصبحوا خارج السجن كان رجال العصابة في انتظارهم ، فأمرهم سواح بالاختفاء في الجبال ، ولما أصبح الصباح كانت المدينة مقلوبة رأسا على عقب لهروب عدد كبير من السجناء ، وعجب الحاكم لقوة هذه العصابة التي تسكن بلده ومدينته ، وعجب لجسارتهم واقتحامهم السجن وإنقاذ زعيمهم ، فاشتد غضبه على رجال شرطته ، وأمر كبار قادة الجند والشرطة بالبحث عنهم بأسرع وقت ؛ ولكن الرجال قد اختفوا في أعالي الجبال والكهوف ، وكان حدثا مرعبا للجميع للحرس وللناس والشرطة ، شهر كامل مضى وسواح ورجاله مختفين في أوكارهم الجبلية ، فاحتاجوا للمال بعد نفاد ما بين أيديهم في شراء الأقوات ، فطلبوا من الشاطر رمان أن يدبر لهما مالا ، فقال لهم بكل غرور : سأشغل المدينة بحدث كبير ثم أسرق خزنة الملك.. سوف أقوم بسرقة بيت القاضي الذي حكم على الزعيم سواح بالموت أخذ رمان رفيقه العزيز سادرا ، ونزلا المدينة تحت جنح الظلام الحالك ، وعند انصرافه قال سواح لرجاله : هذا شاب جريء وقوي ! ومثل هؤلاء لا يعيشون طويلا .

كان رمان بن سنهار قد ابتاع ملابسا له ولسادر تشبه ملابس حرس السلطان الحاكم ، وفي عتمة الليل البهيم مشيا إلى بيت القاضي قاضي السلطان وقرع الباب فسمع صوتا يقول : من على الباب ؟ .

فصاح رمان : أنا رسول مولانا الحاكم إلى مولانا القاضي احمل له رسالة عاجلة .

فلما أخبر القاضي بذلك أمر الغلام بفتح الباب ، ولما فتح الباب دخل رمان وخلفه

سادر ، وسار أمامهما الخادم نحو القاضي الذي بادرهما قائلا : ما وراءكما ؟

فقال رمان : السلطان يريدكم لأمر عاجل وخطير.. فاذهب يا سيدي والبس ملابسك.

بالطبع الليل وضوء الشموع لا يعين على التحقق من شخصيتهما، وخاصة وهم يرتدون ملابس تشبه ملابس حرس الحاكم ، فأسرع القاضي لحجرة الثياب لارتداء ثياب الجلوس بين يدي الحاكم ، فقاموا على الفور بالغدر بالغلام وتوثيقه وتكميم فمه، وأسرعا خلف القاضي الذي كان يظن أن غلامه خلفه، ففعلا به مثل الغلام ، ووضع السكين على عنقه أو يرشدهما لماله ، فأدرك أنهم لصوص احتالوا عليه ، ولما أحست الزوجة بخطرهم أرشدتهم للمال ، فقام رمان بأخذه ، وسحبا القاضي حيث الباب خشية غدر الغلمان الذين استيقظوا على الضجة ، وأمام الخوف على حياة القاضي لزموا الصمت ، ولما أصبحا في الشارع أسرعا بالهرب والاختفاء ، وأخذ القاضي يلملم جراحه وهلعه ، وفي الصباح التالي افتقد الملك القاضي فأرسل خلفه ، فجاءه الرسول بالخبر العجيب ، فازداد عجب الملك وغيظه من جرأة ووقاحة اللصوص في بلده ، يعتدون على الأميرة ضيفة الملك والبلاد ، وعلى السجن .. وها هو قاضيه الأكبر يتعرض لسطو اللصوص ، فعزل رئيس الشرطة مرة أخرى ، وعين بدلا منه محاربا وفارسا كبيرا ، والذي اندهش أكثر من الملك الملك سواح زعيم اللصوص ، فهذه جراءة لم يعهدها في رجاله منذ صار زعيما لهم ، فلما التقى برمان قال : أيها الفتى أرى أنك أصبحت أقوى مني وأشطر وأخطر ! أنا بقوتي وشجاعتي ما فكرت يوما بمهاجمة أعوان الحاكم ورجاله .

فاستغرق رمان بالضحك ولما استرد أنفاسه قال : أفكر بسرقة الحاكم !.. بدار خزنة الحاكم فكثير من الأموال المكدسة فيها مأخوذة ظلما وتجبرا .. فلنأخذ نصيبنا منها .

فصاح سواح والرجال دهشة مما سمعوا وقال الزعيم : هذا والله التحدي الأكبر!!.. وهل تستطيع ذلك ؟! .

فقال رمان بتحد وغرور : سأفعل ذلك من أجلك أيها الزعيم حتى تعرف من هو

رمان ؟! من هو غضب الليل ؟! .



بعد أيام نزل رمان وسادر عن الجبل حيث تختفي العصابة ، وبعد انصرافهم قال سواح لرجاله : أرى صاحبنا قد ازداد غرورا وشراسة !.. ونحن تركنا المهنة وما عدت أسمع لكم بنشاط أو همة للعمل .. أتحبون أن تظلوا عالة على رمان وسادر؟ فلنخطط لخبطة كبيرة.. عازل ما عدت أسمع مشورتك.

فقال عازل : الخطر كبير يا مولاي ! ..فالملك منزعج من قوة اللصوص ، نخشى أن يهاجموا الجبال بالجنود .. فلنتريث خيرا من العجلة .. فما زال الخطر قائما، والشرطة والجنود يبحثون عنا ، وقد علمت أنهم صلبوا عددا من المجرمين وقطاع الطرق في ساحة الموت ليعيدوا الثقة بقوات الشرطة في قلوب البشر .. وأنا أفضل يا سيدي الزعيم أن نبتعد عن رجالات الحكم كالماضي ، فكل هذه المشاكل التي تطاردنا عندما سرقنا أموال تلك الأميرة الغريبة ، فكيف ولو كانت قريبة للسلطان؟ .. لا تفسر كلامي بالخوف والجبن ، إنما هو الحذر ، فهؤلاء الحكام والأمراء يتهاونون في أمرنا إذا كنا بعيدين عنهم ، أما إذا اقتربنا منهم فهم يتوحشون ، ولن يرحمونا إذا صادونا .

ضحك سواح من كلام معاونه عازل وقال : ما تقولون أيها القوم بما سمعتم من عازل ؟!.



وهناك قال سادر : يا رمان أنت تعمل في الميدان .. وهؤلاء القوم رضوا بالنوم .. وهم

يأخذون نصيب الأسد .. ونأخذ نحن الفتات .

ابتسم رمان وقال : بدأت تفكر أيها الصديق .. اصبر اصبر .. فنحن بضربتنا للقاضي .. وضربتنا القادمة للسلطان نصبح السادة رغم أنوفهم .. فيحسبون لنا ألف حساب ، سيخاف منا سواح .. فهذه الأعمال الكبيرة لصالحنا أكثر منهم ، ولسوف ننشق عنهم إذا ظلوا في أكل وشرب ونوم وخوف من رجال الشرطة .. المهم أن تكون أنت مخلصا لي ، وأنا مخلص لك .

فقال سادر : لقد رضيت بك زعيما لي وقائدا .. فأنا معك وافعل بي ما شئت .

فقال رمان : سنبقى أصدقاء وأخوة في هذا البحر ، ولن يفرق بيننا إلا الموت.

وتعاهدا على الوفاء ، وأقسما على الإخلاص لبعضهما ، والمحافظة على بعضهما ، استقرا في بيت رمان يخططان لسرقة خزنة الملك ، وهناك على طعام جلسا يفكران بملعوب في الملك تتحدث عنه كسروان لسنوات ، وقررا أن يعملا متسولين ويدوران بالقرب من القصور حتى يعرفا أخبار الموقع ، ويعرفان كيف الوصول لخزينة الملك وتحديد موقعها وصفة الوصول إليها بكل دقة ؟ واستمر البحث والتنقيب أسبوعا من الزمن وقد استطاعا بواسطة التسول هنا وهناك من معرفة مقر الخزنة، وعدد حراسها ، فوضعا خطة العمل، ولم يكن الحرس كثيرا حول دار الخزنة ؛ ولكن الحصول على المفاتيح هو المشكلة التي تؤرق فكرهما ، فوجدا أن العنف هو الحل ، وأما الحرس فقذف كرة بنج بينهم سوف تفقدهم الوعي بضع ساعات ، فتقرر أن يذهب رمان بعد منتصف الليل بوقت على شكل متسول متسكع نحو الجنود ، فيقذف بينهم كرة بنج ، ثم يختفي ويراقب مفعولها ؛ فإذا ناموا ، فيدخل إلى الخزنة ، وقبيل الفجر يوافيه سادر ببغلة ، وينتظر عند باب الخزنة ، اقترب رمان من الجنود بملابسه الرثة ، وهو يغني متظاهرا بالسكر ، فناداه أحد الجنود قائلا : أيها الشحاذ تعال .. أتشحذ في الليل ؟! ألا يكفيك النهار أم السكر جعل ليلك نهارا ؟.

فقال رمان وهو يقطع الغناء : أيها العسكري .. أنا صحيح أني شحاذ ؛ ولكن لا بيت لي يأويني .. فأنام في الشارع في الكهف على أبواب الدكاكين .

وأخرج شمعة من جيبه وقال : انظروا إلى هذه الشمعة الجميلة التي حصلت عليها اليوم .. أمعكم نار حتى تشموا رائحتها الجميلة؟ .. فهي من إحدى الحسناوات

وكان رمان قد فرك أنفه بمادة تمنع تسرب البنج لبدنه، فقام أحدهم فأشعل الشمعة وأخذوا يستنشقون الرائحة الجميلة ، وهم يثنون على المتسول ، وقال أحدهم : إنها رائحة عجيبة وغريبة يا متسول الليل؟

فتضاحك رمان وقال : إنها شمعة من إحدى الحسناوات .. وداعا .

ابتعد عنهم ، فلما رأى أن رائحتها استقرت في أجوافهم ، وسقطوا نياما وكلهم ينشد النوم ، فلما ظهر غطيطهم أسرع موثقا له بالحبال ومكمما أفواههم، وفتشهم فلم يجد معهم أي مفتاح ، وأقبل سادر على بغلة سوداء ومعه أداة قوية تساعدهم على خلع وكسر الأقفال، وتم لهم ذلك بسهولة ، ودخلوا الخزنة ، وبعد كسر عدد من الأقفال سرقوا صندوقين من مال السلطان ، وحملوهما على البغل وساروا إلى جهة البحر ؛ ليوهموا من يراهم أنهم يحملون أحمالا إلى البحر إلى إحدى السفن التي تريد الرحيل ؛ ولكن لم ينتبه لهم أحد ، ولم يصدفوا أحدا ، ثم افرغوا الصناديق بأكياس ، وحمل كل منهم كيسا على ظهره ، ثم ساروا لبيتهم فأخفوا الأموال فيه، وأسرعا بالهرب نحو الجبل بعد أن أخذ كل منهم قليلا من المال للحاجة ، ولما وصلا إلى الجبل لم يجدا سوى رجل واحد في الجبل فصاح رمان : أين الرجال أيها الفارس ؟!

فقال الرجل :أيها الشاطر نزلوا المدينة منذ يومين ، ولم أسمع لهم خبرا .

فقال سادر : وسواح معهم .. هل الزعيم معهم ؟

فقال الرجل : ليس هنا إلا أنا .

فقال رمان بقلق : ربنا يستر .



علم حاكم مدينة كسروان بالاعتداء على قصر الخزنة ، فانزعج وقال لحاشيته : أرى الأمر وصل للسلطان ! أخشى يا قوم أن يسطو اللصوص عليّ في غرفة نومي .. أين الأمن يا رجال الشرطة ؟! .. يا صاحب الشرطة ماذا تفعلون ؟؟ نيام .. نيام !

فتمتم صاحب الشرطة بصوت مرتجف : مولاي الملك ! .. امتلأت السجون من اللصوص والزعانف والشطار والزعران .

فضحك الملك ضحكا عنيفا ساخرا : اسمع وزيرنا " شاوركا" ما يقول صاحب شرطتنا .. امتلأ السجن من المجرمين ، وليس بينهم الذين اعتدوا على كبير قضاتنا ، ولا الذين هربوا من السجن ، ولا الذين سرقوا خزنة الملك ، ولا الذين اعتدوا على الأميرة صفاء.. أنا مستغرب من ضعفكم وتهاونكم.. قل ماذا أفعل يا وزير شاوركا ؟!

فنهض الوزير ومهونا من شأن المجرمين وقال : أيها السلطان .. صبرك على رجالنا ، فالمجرمون أولاء غير معروفين للشرطة ؛ ولكن من متابعتي للأمر ولهذه القضايا .. أعتقد أن المجرم والمخطط لهذه الجرائم واحد ومعه أعوانه .. ففي جريمة السجن كان السجين الكبير سواح مسجونا .. وهو من كبار اللصوص والمجرمين في بلدنا .. والذي أنقذه أحد أعوانه بحيلة رهيبة .. وفي جريمة القاضي كان اللص بلباس حرسك الخاص يا مولاي .. إنهم يحسنون الحيلة.. وفي جريمة الخزنة كان اللصوص متنكرين رغم أن الحرس لم يروا إلا شخصا واحدا قد خدعهم وخدرهم .. ولكن سرقة الصناديق تحتاج إلى أكثر من شخص ، فالواقع مما سمعت وعلمت فالمجرم شجاع وذكي وجريء ، وهذا لم يعهد في بلدنا ؛ فلذلك يقف رجالنا عاجزين أمامه .. ولكن لابد أن يخطئ ويسقط .

فصاح الملك : بعد خراب مالطة !.. أريده حالا .. لقد نفد صبري ..

فقال الوزير مخاطبا صاحب الشرطة : فعليك يا صاحب الشرطة أن تنشط رجالك وتبثهم بين الناس وبين اللصوص .. فليرتدوا ملابس الناس ويندسوا بينهم .. وسأقوم يا مولاي بنفسي بمتابعة هذه العصابة .. فهدئ من نفسك ، وسوف ترى ما يسرك ، ويعيد ثقتك برجالنا

المخلصين .

فخفض الحاكم من صوته وقال : أريد أن أرى هذا المجرم بين يدي بسرعة .

فقال الوزير: سأبذل كل جهدي .. ولا أستطيع أن أعدك فهو مجرم خطير وذكي؛ ولكنه سيسقط بين فكيّ .

فقال الملك بغيظ : ماذا أقول أيها الأمراء؟! .. ليس أمامي سوى الصبر والانتظار .. تصرف أيها الوزير وكلي ثقة بذكائك .. فاصنعوا له صيدا لعله يقع .

عندما رجع سواح ورجاله للكهف والتقى برمان وسادر فقال وهو يصرخ فرحا وإعجابا : هل حقا انتصرت على رجال الحاكم وسرقت الخزنة ؟!.

وتعانق الرجال ، وقال رمان وهو يضحك ومزهوا بنفسه: أتشك بقدرتي أيها الزعيم ؟ .. أين كنتم ؟

فقال الزعيم : نزلت والرجال نبحث عنك إلى أن سمعنا خبر سرقة خزنة الحاكم، فقلت للرجال : فعلها غضب الليل ..هذا اسمك الجديد حقا أنت غضب الليل .. أنت ملك الليل وسيد كسروان في الليل !.. وصديقك سادر ابن الليل .. فهو لا يقل عنك شجاعة .. اخبرني أين المال ؟

فقال رمان : سرقنا صندوقين من مال السلطان.. فلابد أن مولانا السلطان اشتد غضبه علينا والموت في انتظاري .. بدأت أفكر بالموت وأخافه أيها الزعيم .

فصاح الزعيم : دعك من حديث الموت .. كلنا سيموت .. علينا أن نحيا قبل الموت المهم أين المال؟! أين أخفيتم الصناديق ؟

فقال رمان وهو يضحك : المال موجود .. وأنتم هل فعلتم شيئا في هذه النزلة للمدينة؟

فقال سواح : لم نفعل شيئا يذكر.. بعض السرقات الخفيفة.. نحن هرمنا تركنا العمل للشباب أين المال الملكي؟ .

ضحك رمان عاليا وقال : ما عندك صبر يا زعيمي .. لا أدري كيف قبل بك هؤلاء

الرجال زعيما؟.

فصاح سواح بغضب : ويحك! لا تتطاول عليّ .. أنت ما زلت غلاما مغرورا .

فازداد ضحك رمان وقال : بعد كل هذه الضربات ما زلت غلاما ! سأعطيك المال أيها الزعيم حتى لا تفقد أعصابك .. وصاح محتدا: عازل صناديق المال في بيتي.

فقال الزعيم : ألا تخاف عليها ؟! تركتها في بيتك .

فقال رمان ساخرا : ومن يجرأ على سرقتها ؟ إنها أموال الملك ! ومن يظن أني أضع مالي فيها ؟.

فضحك عازل وقال لرمان : يا غضب الليل احذر الغرور والعجب .

وقال الشاب سادر : أيها الزعيم المال في بيتنا .. وافعلوا به ما شئتم .. وغضب الليل يفكر بسرقة جديدة .

فقال الزعيم كأنه متهكما : بمن تفكر الآن ؟؟

فرد رمان بغضب وغرور وحيرة : أيها الرئيس .. أصبحت لا أحب الجلوس من غير حركة وفكر ، لا أحب تعطيل عضلي وعقلي .. هل عندك من أحد تريد سرقته ؟

وقبل أن يرد الزعيم قال عازل : أقول لك أنا يا غضب الليل من تسرق ؟.

فقال سواح : قل يا عازل .. هذا الفتى كبر في العمل ، وطاقة مهمة علينا استغلالها ، مع أنني أخشى أن لا أسيطر عليه غدا .

فأجابه رمان متملقا : أيها الزعيم إذا أحببت أن اكف عن العمل افعل .. وإذا أحببتم أن أعود للميناء والنشل أفعل .

فصرخ فيه سواح قائلا : ويلك! وهل نستطيع التخلي عنك يا بطل ؟ .. فقد قررت صرف الرجال لبيوتهم وأزواجهم وسندعوهم عند الحاجة فأنت تسد عن مائة .

فانتفخ رمان غرورا من مدح الزعيم وتمسكه به ، فقال رمان : كم بقي معنا من الرجال أيها الزعيم ؟

فقال الزعيم : سبعة عشر رجلا مغوارا .. سأصرف عشرة ونبقي سبعة هنا .. ومهمة

العشرة الذين ينزلون المدينة رصد الأخبار ومراقبة أماكن الصيد وتبليغها لعازل .. اصرف يا عازل من رجالنا من أحب ذلك ، وأعطيهم ما يكفيهم من المال ولتكن أنت حلقة الوصل بيني وبينهم .. ثم اجلبوا المال المخبأ في بيت رمان وسادر .. وعندي ضربة جديدة للبطل رمان وضربة عازل لتؤجل .

فابتهج رمان وصاح فرحا : هذا المطلوب عمل حركة .

أخذ عازل الرجال العشرة الذين رغبوا في الجلوس في بيوتهم ، ونزلوا المدينة ، وكان معه رجلان لمساعدته في نقل المال للجبل ، ولما ابتعد صوت الرجال ، قال سواح لرمان لغضب الليل كما سماه : هذه المرة .. لا تسرقا مالا .. ستقوما بسرقة جواد .

ولما شاهد دهشتهم عاد يقول : اتصل بي أحد الرجال، وطلب مني سرقة حصان أحد الفرسان ، وأعطاني ثلاثة آلاف دينارا مقابل ذلك ، وهو مبلغ غير يسير فما قلتم ؟

قال رمان : المهم اشرح لنا سبب سرقة هذا الحصان ؟

فبعد صمت عميق قال سواح : سأذكر لكم ذلك .." حدرد " أحد فرسان كسروان ، وحصانه " زعل " حصان قوي وقادر على الفوز بالمسابقات ، وصاحبي الذي سيشارك في المنافسة والسباق عنده فرس جبارة، ولها تجارب كبيرة في ذلك؛ ولكن حصان حدرد يسبقها ، بل سبقه أكثر من مرة ، وهو طامع بالفوز بهذه المسابقة في هذا الموسم ، ويكون ذلك بحرمان حدرد من جواده زعل ، ونحن حصلنا على المال لتنفيذ هذه المهمة .. فماذا تقولون أيها المغاوير الكبار؟

ولزم السامعون السكوت حينا ثم قال رمان : وبعد أن نسرق الجواد .. أين نذهب به يا زعيمنا ؟

عاد الزعيم يقول : ستخرج به من كسروان لبيعه في مدينة أخرى .. قد تكون هروان .. أتعرفها يا رمان ؟

فقال سادر: أنا اعرفها أيها الزعيم ! هي غرب كسروان يفصل بينها وبين كسروان

النهر الغربي .

فأمرهما سواح بعد سرقة الحصان بالذهاب إلى هناك وبيع الحصان ، وقضاء شهر في الفرجة على هروان ، ثم قال : ليكن لقاؤنا هنا بعد شهر .. وسأذهب معكم للمدينة .. وأدلكم على بيت حدرد الفارس حدرد .



جمعوا معلومات لازمة عن البيت المراد سطوه ، فوجدا أن اصطبل الفارس حدرد مستقلا عن البيت في أقصى مزرعة الفارس ، والأرض مسورة بسور عال فمن الصعب دخول البيت وسرقة الجواد ؛ وأثناء المتابعة لاحظا أن الفارس حدرد يذهب كل صباح مع سطوع الفجر في جولة على ظهر الحصان زعل تستغرق ساعة من الزمن ، يسير فيها نحو البرية ثم يعود، ولما تأكد لهم أن الحصان الذي يركبه هو زعل صنعا كمينا له في الطريق وغدرا به ، وتركاه على الأرض مبطوحا يئن من الغدر، وأخذا زعلا الذي ملأ الدنيا صياحا وهياجا على صاحبه، فقاما على ضربه وتلجيمه وتشميمه قليلا من البنج حتى هدأ ، ثم سارا به نحو هروان ، كما خطط لهما سواح ، ولما وصلا تلك المدينة قاما ببيع الحصان بثمن زهيد ، وسكنا غرفة في خان كبير، وقد صمما التعرف على المدينة وأهلها وساحاتها وشوارعها؛ ولكن قبل تنفيذ هذا المخطط تعرضا للقبض عليهما خلال فترة وجيزة من استراحتهما ، فقد جاءت الشرطة ومعها الرجل الذي ابتاع منهما الحصان متهما إياهم بخداعه، وأن الحصان مريض لا يأكل ، فقالا للرجل : سنعيد له ماله ، ونأخذ حصاننا ، ولن نبيعه إلا بألف درهم .

فمشيا مع رجال الشرطة ، وأخذوا الحصان وردوا ثمنه للمشتري ، وعادوا للسوق لبيعه مرة أخرى ، وأمضيا شهرا في هروان ، فوجداها مدينة هادئة وسكانها

قليلون مقارنة مع كسروان ، وعلما أن حاكم هذه المدينة صهر لملك كسروان ، فمضى الشهر وهما يتنقلان من ملهى إلى آخر ، ثم حان موعد العودة لكسروان كما اتفقا مع سواح ، فاستأجرا عربة تنقلهما حتى النهر الفاصل بين المدينتين بدرهمين عن كل نفر ، وعند الجسر ودعا السائق، ودخلا كسروان ، فركبا عربة أخرى تنقلهما لقلب كسروان بدرهمين عن كل واحد منهما ، وأثناء الطريق فتحا الحديث عن كسروان ، فقال السائق : الوضع في كسروان متوتر منذ شهر.. والبلد كأنها في حالة حرب وقتال .

فقال رمان : لماذا أيها الأخ ؟

فقال السائق ببساطة : إنهم يبحثون عن مجرمين اثنين أحدهما يسمى رمان ، والآخر سادر .

نظر الرجلان في بعضهما دهشة وقال رمان : وماذا فعل هؤلاء المجرمان؟!

فقال السائق بحماس : أمسكت الشرطة بزعيم العصابة التي تثير الخوف في المدينة ، وهذا المجرم الكبير يسمونه سواح ، واتهموه بالاعتداء على بيت القاضي وخزنة الملك ، وجرائم أخرى ، أنكر، ولكنهم وجدوا معه أموال الخزنة المسروقة ، فأقر بمن فعل ذلك زاعما أن رمان وسادرا هما السارقان .

في هذه اللحظة كانوا قد قطعوا نصف الطريق فطلبا من السائق النزول ، فأوقف العربة وقبض أجرته وتابع مسيره ، ثم سارا نحو الجبال خوفا من الوقوع بأيدي الشرطة ، ثم يحاولان الاتصال بأحد رجال العصابة لسماع الأخبار الحقيقية، فوضعا خطة للتنكر ، فغيرا من أشكالهما ، ثم دخلا المدينة متنكرين ، فاجتمعا مع أحد اللصوص المعروفين لهم ، فلما عرفهما اللص قال : ويحكما.. أمجنونان أنتما؟! .. اهربا من البلد على الفور .. فزعيمكما سواح في السجن .. وقد اعترف بين يدي الحاكم بما فعلتماه وهم يبحثون عنكم .

فقال رمان : قل كيف وقع الرجال ؟

فقال اللص : علمت أن عازل سقط بين يدي الشرطة ، ومع العذاب الذي أصابه اعترف بالأمر وأرشدهم إلى سواح ، ولما وقع هو الآخر أقر أمام الملك بأنك أنت الفاعل ..

فاسمك الآن على كل لسان بالمدينة .. ومطلوب القبض عليكما فورا .. وأنا أرجوكم أن تبتعدوا عني .. وإلا تعرضت للقتل مثلكما .. فكل من يتستر عليكما يعتبر شريكّم .. وأنا منذ أيام خرجت من السجن بعد عذاب شديد

فودعاه وانصرفا وجلين ، وقال رمان لصاحبه : علينا أن نغير تنكرنا قبل أن يكشف الرجل أمرنا .. وما العمل يا صاحبي ؟

قال سادر : لدي اقتراح صعب وقاس .. ولكني أراه مناسبا .

قال رمان : تكلم أيها الصديق .

فقال سادر : صديقي .. لا تصفني بالخوف والجبن ؛ بل هو الحيطة والحذر .. فأمرنا مكشوف وسواح سقط وانتهى ، وأصبح عجوزا ؛ فإما أن نهرب إلى الجبال أو نترك كسروان حينا من الدهر حتى ينسانا الناس فنعود إليها بوجوه جديدة .. فما الجواب عندك أيها الصاحب ؟

خيم عليهما الصمت القاتل ثم تكلم رمان قائلا : اقتراحك جيد أيها الصديق .. فلنهرب إلى إحدى المدن القريبة .. فهذا الحل الأمثل والأصوب في مثل هذا الظرف وبعدما سقط أكثر الرجال .. هل نعود لهروان أم نسير لمدينة السلام ؟

رد سادر فقال : مدينة السلام تبعد عن كسروان سبعة أيام فهي أبعد من هروان وهناك يمكننا العمل والشغل .

سافرا إلى مدينة السلام ، ولما دخلا البلاد كان الناس يحتفلون بزواج ملكهم، فانخرطا في سلك المحتفلين حتى انتهى الحفل ، وانصرف الناس لبيوتهم ، فبحثا عن خان يباتان فيه حتى الصباح .

بدآ ينشلان من ثاني الأيام ليستطيعا العيش ، وقاما بالنصب والاحتيال على الضعفاء والمساكين ، وصادقا بعض اللصوص في المدينة ، وذات يوم وهما في السوق يلبسان ملابس الحمالين اقتربت منهما امرأة وقالت لهما : أيها الشابان معي كيس فيه أشياء وصندوق من الزجاج .

فمشيا معها ، فسادر حمل الكيس الممتلئ بالخضار وغيره ، ورمان حمل صندوق الزجاج فقالت لهما المرأة : اتبعاني ..

وكانت قد وعدتهم بعشرة دراهم ، وظلت تسير بهم حتى وصلت لدرب متراص بالبيوت فاجتازته وهما خلفها ، ودخلت بهم درب آخر حتى وصلوا لبيت عتيق فقالت : هنا.

طرقت الباب ففتح لها ، ودخلت والرجلان يتبعانها ، وبعد أن وضعا الأشياء في الداخل ، قادتهما المرأة إلى رجل يجلس تحت ظل شجرة كبيرة ، وقالت له : ها هما الرجلان يا سيدي .

فناداهما فاقتربا منه ، ووجدا كرسيين فجلسا عليهما وهما منهكان من التعب ، فقال لهما: أراكما متعبين وأنتم ما زلتما شابين قويين ؟

فقال رمان : المسافة بعيدة أيها السيد الكبير .

فقال : على كل حال حمدا على سلامتكم.. قبضتما أجركما ؟

سادر : بعد يا سيدي؟

فقال الرجل : أتعرفان من أنا ؟!

قالا : لا ، لم يقل زمرر لنا عنك كثيرا ؟.

فقال الرجل : زمرر أحد رجالي .. وأخبرني عنكما .. وأنكما تحبان العمل في هذا البحر المظلم .. فطلبت رؤيتكما بعد أن أثنى عليكما زمرر وأعلمني أنكما لصان بارعان محترفان.

فقال رمان : ليس كما قال.. ولكننا نعمل في هذا العمل منذ وعينا على هذه الحياة.

ففكر الرجل قليلا وقال : سأجربكما أريد أن اسرق .. وسكت .

فقال سادر مقاطعا : أيها الرجل ما عرفتنا بنفسك .

فقال بقوة : ما علمتاه من زمرر يكفيكما.. المهم أن تأخذا أجركما على كل خبطة .. وأنا أحميكم من اللصوص والمجرمين بقدر استطاعتي .

فقال رمان : حسنا .. اطلب ما شئت نحن تحت أمرك .

فقال الرجل : لي فترة أفكر بسرقة كتاب عظيم من مكتبة الحاكم ..وقد حاولنا أكثر

من مرة .. وقد فشلنا .. وهذا الكتاب يهمني كثيرا .. إذا استطعتما إحضاره لي فلكما ألف درهم .

فأخذ رمان يضحك ويضحك حتى أفزع الرجل الذي يجلس أمامه فصاح فيه : ما الذي أضحكك أيها الشاب ؟ أكلامي يضحكك لهذا الحد ؟!

سكت رمان حتى استرد أنفاسه وقال ساخرا : أرسلت لنا هذه المرأة ، وحملنا الأحمال كل هذه المسافة لنسرق كتاب؟ألا تستطيع تكليف نساخ بنسخه أيها الرجل بأقل من هذا المبلغ ؟

قال الرجل بغضب : اسمع أيها اللص .. أنا طلبتك لتنفيذ ما تسمع .. لا أحب أن أسمعك تضحك أمامي مثل هذا الضحك مرة أخرى وإلا أرسلتك للسجن .. عليك بالأدب يبدو أن زمرر ما أحسن بإعطائك الآداب اللازمة .. أنا قلت سأجربكما ولكن يظهر لي أنك أكبر مغرور واجهته .. واعلم أن الحصول على هذا الكتاب ليس سهلا كما تخيلت أيها اللص ..ولا تنسى أنك غريب في مدينة السلام .

قال رمان بحدة : كفاك كلاما وآدابا أيها السيد .. قل أين الكتاب ؟

فقام الرجل غاضبا : انصرفا قبل أن تأكلا .. واذهبا إلى زمرر وستجدان التفاصيل والأوامر عنده غادرا المكان .

ونادى الخادم الذي طردهما شر طردة ، فانطلقا إلى زمرر في سوق الحرير غاضبين ناقمين ، واجتمعا به وقصا عليه ما حصل لهما ، فقابلهما بالابتسام وقال : لا عليكما .. سيذهب بكما "عادل" الآن إلى المكتبة لتنظرا إلى الكتاب المطلوب.. ثم تصرفا وخططا وأنا سأدفع لكم الألف درهم .

فسار بهما غلام زمرر نحو المكتبة ، وشاهدا الكتاب الموضوع في صندوق زجاجي محاط بالذهب الخالص .. وتفرجا على المكتبة ، وانصرفا للبيت الذي استأجراه منذ تركا الخان ، وهناك قال سادر لرمان بقلق : ما رأيك بأن نترك هذه المهمة أشعر أن القوم يبيتون لنا شرا ؟

فقال رمان : لماذا؟

فقال سادر :هذا زمرر لص ! ويملك هذا المحل الكبير في السوق ، وذاك الرجل الذي يسكن في مسكن كبير وهادئ وخدم لص أيضا !

فقال رمان : فكرت كثيرا بأمرهم ، وبما انتبهت له وما لاحظته .. فهم لصوص على مستوى كبير ونظيف ، ويتظاهران بالشرف .. أما ترى منذ بدأنا العمل في هذه المدينة .. ويعرض علينا اللصوص الصغار العمل مع زمرر الذي رحب بنا ، وذكر لنا أن له سيدا كبيرا ، وقبل أن ينظم شخص للعصابة عليه أن يزور الرأس الأكبر بالطريقة التي وضعت لنا ، وهذا ما حصل معنا ..هل يريب هذا ؟!

قال سادر بعد سكوت طويل : لست مطمئنا لهؤلاء الرجال .

قال رمان : نغامر هذه المرة ثم ننظر ما يحصل لنا بعد ذلك .



وبعد أن تناولا الطعام الذي أعداه ، عاودا الحديث حول سرقة الكتاب من المكتبة الملكية ، فقال سادر : هل سنسرق الصندوق بالكتاب أم الكتاب وحده ؟

فقال رمان وهو يتخيل الصندوق المسور بالذهب أمام عينيه وبين يديه : لاحظت أن الصندوق محاط بالذهب فبعد أن نسرقه كاملا نساوم على المطلوب .. الليلة قبل الفجر بساعة سنأخذ حبلا ، وأتسلق الجدار ، وأدخل المكتبة من الطاقة القريبة من السور .. وأنت تنتظر تحتها ، ثم أدلي لك الصندوق بواسطة الحبل ومن ثم نعود للبيت .

نفذا الخطة كما رسماها ، وسرقا الصندوق الذي فيه الكتاب المطلوب ، ومع الصباح كانا يجلسان في البيت ، وما كادا يستريحان حتى سمعا طرقا على الباب ، فقام سادر بفتحه ، فدخل رجال الشرطة ، ودهموا البيت وأخذوا الصندوق وقبضوا عليهما ، فقال سادر : ألم اقل لك إن الأمر مبيت لقد وقعنا في الفخ ؟!

قال رمان : اصبر أيها الصديق .

وساقتهما الشرطة إلى السجن وألقتهما فيه، وبعد سبع كانا بين يدي القاضي قاضي مدينة السلام ، وكم كانت دهشتهما شديدة عندما عرفا شخص القاضي ؟! لقد كان القاضي هو الرجل الذي قادتهما المرأة إلى بيته الواسع في ضواحي المدينة ، الرجل الذي طلب منهما سرقة الكتاب ، فقابلهما القاضي بالابتسام وهو يقول لهما : مرحبا برمان وأهلا بسادر!.. لقد نجحتما بسرقة الكتاب والصندوق معه .. ولكني أراكما أمامي الآن .. فأنتما متهمان بالاعتداء على مكتبة الملك .. هل تقران بما فعلتما ؟؟

صاح رمان بغضب شديد : نعم نقر أيها القاضي المحترم .

فقال القاضي بهدوء وسكينة أمام الكتبة والعرفاء والشرطة : لقد أمسك بهما رجال الشرطة وهما يحتفظان بما سرقا ، وهاهما اعترافا بجرمهما ، وقد علمت أنهما لصان غريبان دخلا المدينة للسرقة والنشل والاحتيال ، وقد قاموا ببعض الأعمال القذرة من الضحك على البسطاء من الناس ، فقررت سجنهما خمس سنوات بالتمام والكمال .

وعلى الفور ساقتهما الشرطة من جديد إلى السجن الذي كانا فيه ، وكان شغلهما الشاغل أن يجدا طريقة يهربا بها من السجن والبلد ، وفي صباح اليوم التالي الذي حكم عليهما القاضي فيه أصبح الناس يتحدثون أن القاضي الشهير طعن بخنجر في ظهره ، وهو يرقد في بيته للعلاج ، والشرطة تبحث عن المعتدي ، وبعدما استرد القاضي بعض عافيته سأل عن السجين رمان ، هل ما زال في السجن هو وصاحبه ؟ فأخبره كبير العسس أنه ما زال يقبع في السجن تحت الحراسة المشددة ، فاحتار القاضي فيمن حاول قتله والغدر به ؟! فيمن دخل عليه البيت في الليل وضربه بالخنجر ، وهرب قبل أن يمسك به الخدم ، ففكر بزيارة السجن ليتحدث مع غريميه ، وقام بالزيارة فعلا ، وحاول القاضي أن يتأكد أن أحدهما حاول اغتياله ، فلم ينجح ، بل سمع رمان يقول : الحمد لله أيها القاضي أننا كنا في سجنك الصغير وإلا لاتهمتني بها كما فعلت بنا في سرقة الكتاب .. لن أعفو عنك .. والحمد لله الذي انتقم لنا منك .

خرج القاضي وهو حائر خائف .. السجن الذي حبس به الرجلان عبارة عن حجرتين فقط وغرفة ثالثة مستقلة للحرس ، ولا يوجد في السجن إلا هما ورجل ثالث متهم بقتل زوجته ، وقبل الاعتداء على القاضي ، لم يكن يحرسهما إلا رجل واحد ، فأقنعه رمان عند الليل بمبلغ من المال على أن يسمح له بالذهاب لبيته ليحضر بعض الأشياء ، وطلب منه أن لا يخبر الحراس الآخرين الذين يرقدون في غرفتهم ، وقال له مطمئنا : وصديقي سادر عندك يضمن لك عودتي .

قبل الحارس عليهما المال ، وأذن له بالخروج خلسة ، فذهب للبيت وتخفى ، ثم سار إلى بيت القاضي وطعنه بالخنجر، وعاد للسجن بسرعة من غير أن يعرف أحد بخروجه ، فوجد الحارس نائما فأيقظه، وأدخله الحارس عند صاحبه، وطلب منه رمان أن لا يذكر لأحد أنه أخرجه من السجن ولو ساعة واحدة، ولما علم الحارس بما أصاب القاضي خاف ولزم الصمت، وأقسم هو والحراس أن أحدا منهم لم يخرج من السجن ، ولما جرت محاولة قتل القاضي شددت عليهم الحراسة ، ولما سكنت الأوضاع كان سادر يقول لرمان : الهرب سهل من هذا السجن .. سجن غريب لا يوجد فيه مساجين .. هل يعقل أن تخلو مدينة من مجرمين ومحتالين ؟! .. اللصوص الذين تعرفنا عليهم ألا يوجد سجناء بينهم ؟! .

فقال رمان ساخرا : كلهم يعملون مع القاضي .. والبلدة صغيرة ، والناس قليلون أيضا ، والحارس قال لنا إن السجين الذي يحاول الهرب ويفشل يكون عقابه الموت العاجل من غير عرضه على القاضي ، فإذا حاولنا الهرب فإما النجاة وإما الموت ، وكما ترى السجن يقع في قلب المدينة ، وأبوابها تغلق من أول الليل ، ولا خروج إلا بتصريح من القاضي نفسه .. فنحتاج ليوم مناسب يوم ينشغل فيه الناس بعيد واحتفالات فنهرب .. ولكنني أفكر بالانتقام من زمرر الذي خدعنا وأوهمنا بالعمل مع عصابة ، وعملوا علينا تلك الحيلة حتى يتهموننا بالسرقة ، ويزجوننا في هذا السجن ليخلو لهم العمل وحدهم فقد خافوا من منافستنا لهم .

قال سادر : أيها الصاحب الهرب من هنا خير لنا من الانتقام .

ذات مساء نادى عليهم أحد الجنود ، فهرع إليه الثلاثة فقال لهم : لقد أصبح القاضي سلطانا للبلاد .. فقد عزلوا الملك الصغير ونصبوا القاضي مكانه .

فقال رمان : لماذا عزلوا الملك الصغير ووضعوا القاضي مكانه ؟!.

فقال الجندي : علمت ذلك من رئيسي عندما مرّ عليّ قبل قليل بهذا التغيير .. فأحببت إخباركم بذلك ؛ لعل عفوا يصدر بحقكم بمناسبة هذا التغيير



سبب هذا التغيير أن المدينة معرضة للاحتلال من قبل صاحب مدينة أسد دار الذي أرسل رسالة لملك مدينة السلام يهدده فيها بالاحتلال إذا لم يدفع لخزينته كل سنة مائة ألف دينار ، ولصغر سن الملك رتب القاضي الوصي الأمر مع الأمراء والأجناد على خلع الملك الصغير وتنصيب القاضي مكانه ، ورفضوا طلب ملك مدينة أسد دار.

بعد هذه الأحداث ، حدث أن زار زمرر رمان وسادرا في سجنهما بإذن من القاضي الحاكم الجديد للمدينة ، فعاتبه رمان بشدة على غدره وخداعه ، فاعتذر زمرر قائلا : نحن أيها الفارس مدينة يعيش الناس فيها بأمان وسلام .. لا يعيش بيننا لصوص ومجرمون وليس عندنا سوى هذا السجن الخالي إلا منكما ، وهذا الرجل الذي قتل زوجته وينتظر مصيره ، ولما بدأتما تسرقان وتحتالان على الناس علمنا بذلك من الرجال الذي احتلتم عليهم ، وممن حاولتم استدراجهم للغواية معكم، فعلمنا أنكما غريبان ، فرتبنا لكم ما تعرفونه حتى نقوم على علاجكم ونصلحكم ونبعدكم عن مرض اللصوص بالسجن خمس سنوات، وهي كفيلة بتغييركم ، ثم نمنحكم المواطنة الصالحة في بلدنا ، فهذه نوايانا فلا تعتبوا علينا ، فنحن مدينة السلام والأمان والحب والوئام ، ويجب أن يعم فيها السلام ، فهذا ما جرى منا نريد

تخليصكم من دائكم ، واعلم أن القاضي متأكد بأنك حاولت قتله ؛ ولكنه غض عن الأمر لعدم توفر الدليل القاطع ضدكما .

ولما انتهى من توضيح هذه الأسباب والمبررات ، قال سادر : والآن جئت لأمر ما فما هو؟

رد زمرر باسما : نعم .. جئت لأمر مهم لكم ولنا.. أصبح القاضي سلطانا لهذا البلد، وملك مدينة أسد دار طامع فينا ، فهو يهددنا بدفع الجزية له أو امتلاك المدينة ، فسيدي الحاكم يرغب منكما أن تخطفا ملك أسد دار ، واطلبا منه ما شئتما من المال والمناصب والزواج من بنات مدينة السلام .

خيم الصمت على المكان بعد هذا العرض المثير، وكان رمان يقلب بصره بين سادر وزمرر وسقف السجن ، وكان سادر ينظر في وجه صاحبه ويتساءل هل من خدعة جديدة ؟ وفجأة سمع رمان يقول : مهمة جيدة مع من نعقد الاتفاق ؟

قال زمرر بفرح لنجاح مهمته بسهولة : مع الحاكم نفسه .

فعاد رمان يقول : سأقبل بهذه المهمة رغم أنني لا أحب الحكام .. وقد ظلمنا هذا القاضي .

رد زمرر : كان قصدنا خيرا لكما ولبلدنا .. فلا تدعوا هذه الفرصة تفوتكم لتصبحوا من علية القوم ..

ودفع زمرر لحراس السجن كتابا خاصا بإطلاق سراح الرجلين ، وكان أسعد الحراس بالعفو عنهما الحارس الذي تواطأ مع رمان في أول يوم دخل السجن بعد صدور الحكم ، وأذن له بالانطلاق لبيته .

اجتمعا بالقاضي الحاكم وبين لهما سبب حبسهما ، وكرر على مسامعهما أن هذه مدينة آمنة مدينة سلام وسعادة ، والكل يحيا فيها بسلام والمجرم يُقوم سريعا ، ولما ظهرا في المدينة أصاب الناس إزعاج قاتل ، وكان المقصود من عقابهما تربيتهما فقبلا الاعتذار ، فقال القاضي الحاكم : أرغب منكما بإحضار حاكم مدينة أسد دار بالقوة حتى نستطيع أن نريه بأسنا ، ونتفق معه على كف الحرب والشر عن مدينة السلام ، فهو أمير طائش استلم الحكم منذ سنة مضت

بعد وفاة والده الذي كانت علاقتنا معه طيبة وودية ، ولما تسلطن الشاب بدأ يثير الحروب هنا وهناك ، وطلب منا الجزية مائة ألف كل عام ، ولما كان حاكمنا صغيرا خلعناه ، وقد رأينا أنه يميل لدفع الجزية لخصمنا ، فرأى القوم خلعه حتى يكبر ويستطيع تحمل مسؤوليات الحكم والسلطنة .. ونحن لا نرغب في الحرب .. وفي نفس الوقت لن ندفع الجزية لحاكم أسد دار .. فتشاورنا واقترحت أن نخطف الملك الشاب من بين جنده وأنصاره ؛ ليعترف بقوتنا.. وأننا قادرون على اغتياله ، فقد ترتدع نفسه ونتفق على السلم ، ومن معرفتي بشجاعتكما اقترحت أن تحاولا ذلك ، ولكما ما شئتما متى تعودان سالمين ولكما الخيار بالاعتذار عن هذه المهمة .

أصبحا ضيفين كريمين على السلطان ، ينامان على فراش الأمراء ، ويأكلون في قصر الحاكم ، وأعطيا التعليمات اللازمة والمال اللازم ، وتحركا لهذه المهمة ، ولما أصبحا خارج المدينة قال سادر : ما رأيك بهذه المهمة ؟!

فقال رمان : مهمة كبيرة !.. ذكرتني بمغامراتنا في كسروان .. هذا القاضي ذكي وخبيث .. فبإرسالنا نحن يرفع الشبهة عنه وعن أهل مدينة السلام إذا فشلت المهمة ، وإن نجحنا يستفيد هو شعبية أكثر في عيون الناس بإنقاذهم من دفع المال .. وكما ترى فباستطاعتنا الهرب إلى مدينة أخرى .. وبما أننا لا نستطيع العودة لكسروان فلنعمل عند هذا السلطان ، فيصبح لنا سندا في يوم من الأيام إذا هرمنا .. وضاقت بنا الدنيا وصحبة الملوك ليس كلها ضرر .



وبعد مسير بين الجبال والوديان دخلا مدينة أسد دار ، وكان وصولهما مع المساء ففي أول دار للغرباء سكنا ، وبعد سبعة من الأيام رسما خطة لخطف ملك أسد دار ، كان من عادة ملك أسد دار الخروج للبراري للصيد والقنص ، ويأخذ في حملته عددا من الفرسان ، فأحيانا يخرج من الصباح لليل ، وأحيانا يمضي في البرية ليالي ، فرصد رمان وسادر موعدا من

مواعيد الصيد ، وكان من عادته أيضا ألا يبعد عن المدينة كثيرا ، فقاما بشراء فرسين لهذه المهمة ، ولما علما بخروج الملك للصيد تبعاه على فرسيهما ، فلما تعب الملك من الركض والمطاردة للحيوانات البرية جلس يستريح وحوله رجاله في خيمة نصبت له ، وكان رمان وسادر ينتظران هذه اللحظة ، فأخذ رمان الحلوى الموضوع فيها البنج ، وترك صاحبه يراقبه واقترب من خباء الملك متظاهرا بأنه تائه في الصحراء يبحث عن طعام وماء ، فألقى عليهم السلام ففزعوا في البداية فقال : عابر سبيل.. هل أجد عندكم ماء.

فقربوا إليه ماء ، فلما شرب وارتوى بدأ يتحدث معهم ، وأخذ يوزع عليهم الحلوى وهو يضحك ، ويبدي امتنانه على سقية الماء متظاهرا بأنه يقدم الحلوى مكافأة لهم على شربة الماء ، ولم يترك أحدا إلا أطعمه من الحلوى ، وبعد حين أصبح الجميع نياما ، وبعد أيام كان سادر يدخل بالملك الأسير مدينة السلام ويضعه بين يدي القاضي الحاكم الذي نهض عن عرشه يفك قيوده ويرحب به قائلا : أهلا بالملك سعيد بن هاد ملك أسد دار.

فقال الملك بغضب: هذا غدر أيها القاضي الغادر! .. آ .. نسيت أنك غدرت بابن مولاك ونصبت نفسك ملكا مكانه .

رد القاضي : أنت أسير أيها الملك.. وها أنت ترى كيف أحضرك رجالي بدون قتال ؟ .. اطمئن لن نقتلك .

فصاح الملك غضبا : إنك لا تجرؤ على ذلك، إنك أجبن من ذلك أيها القاضي الغادر .. لولا الحيلة ما كنت هنا وحدي .

فقال القاضي السابق : لن أقتلك مهما أخطأت في حقنا أو شتمتني .. والحيلة نصف الحرب .. سأعفو عنك .. ولكني أحببت أن أحضرك إلى هنا حتى تعلم أنني استطيع قتلك في عقر دارك فعندي رجال أشاوس لا يخافون الموت .. طلبت منهم أن يأتوا بك حيا لنتفاهم .

فصاح الملك الشاب : لن أتفاهم معك .. أتفاهم مع غادر ! اقتلني أيها الجبان الغادر .. إن لم تقتلني سأدمر هذه المدينة عن بكرة أبيها .

فقال القاضي لجنوده : خذوه لقصر الضيافة حتى تهدأ روحه .

فأخذه الجند وهو يزمجر ويسب ويلعن القاضي الذي التفت لسادر قائلا : عملتم عملا عظيما ! لقد كانت نظرتي إليكم في محلها أنتم مكانكم مع الفرسان ، ليس مع الشطار والزعران ؛ ولكن أين صاحبك لقد شغلني هذا اللعين عنه ؟! .

قال سادر : سيأتي أيها السلطان إنه خلفي .. إنه متعب فتركته في الطريق وجئتك بالأسير مسرعا .

فقال القاضي : اذهب الآن واسترح وعندما يرتاح رمان اقبلا عليّ لأخذ جائزتكم.

كان تأخر رمان خارج البلد خوفا من غدر القاضي والادعاء أمام الملك الأسير أنهما فعلا ذلك من تلقاء أنفسهما ، وبعد يومين دخل رمان المدينة برفقة سادر الذي قصد المكان الذي اختفى فيه ، وأعلمه بما جرى بين الملك والقاضي ، فمشيا إلى القصر واستقبلهما القاضي ، وأثنى على شجاعتهما وجرأتهما ، فأهداهما فرسين قويين وسلاح الفرسان ، وقال لهما : أنتما أصبحتما من فرسان مدينتنا ، وعندما انتهي من هذا الأسير المغرور والمتعجرف سأكافئكما بما تشتهيان .



بعد سنين مكثاها عند الملك القاضي قررا العودة لكسروان ، فقد ملّا من حياة الهدوء ، فتركا زوجاتهما ، وسارا بعد هذه السنوات إلى كسروان حيث الأهل والأصحاب والبدايات .

وبينما هما يسيران إلى كسروان وفي ليلة من الليالي سمعا أصواتا عالية في أحد الوديان الذي يجتازانه، فأصغيا سمعهما، فسمعا بكاء نساء وأطفال وأنين جرحى ، وبعد حين سمعا كلمات رجل يقول : ماذا نفعل يا أماه ؟!.. فلنستريح في هذه الوادي تحت هذه الأشجار المحيطة به ، لقد تعبنا من المشي والركض الأطفال قد جاعوا .

وسمعا صوت الأم القوي يقول بصوت مسموع : حسنا انزلوا أيها الرجال .. انزلن

أيتهن النساء تحت أشجار هذا المكان . . لابد للظالم من زوال .

فهبط الناس عن البغال والخيل والحمير، وأنزلوا إلى الأرض شابا كان محمولا على نعش ، واشتعلت النيران في المكان لصنع الطعام وكان أحدهم يقول : لقد ابتعدنا عن المدينة مسيرة يومين ، ولا أظن أنهم سيلحقون بنا قاتلهم الله .

كان الفارسان بطلا مدينة السلام يسمعان هذه الكلمات وهما يستريحان بالقرب من شجرة ضخمة من غابة الوادي فقال رمان : قوم منكوبون هاربون ومنهكون من التعب!.. اذهب وتحدث معهم يا صاحبي ، وجئني بخبرهم ؛ فإذا كنا نستطيع مساعدتهم نفعل ، والله ذاك القاضي حبب لنفوسنا صنع الخير للناس .

مشى نحوهم سادر من غير تردد ووقف بينهم وصاح : أيها القوم ! أنا ضيف لا تخافوا مني .. أنا سادر بن علام .

فقام إليه بعض الرجال ورحبوا به فقال لهم : صدف أن سمعنا صياحكم وبكاءكم فجئت أسمع خبركم لعلي وصاحبي رمان نساعدكم .

فقال له أحد الرجال : اجلس أيها الفارس النبيل .. عرفنا بنفسك ؟

فقال سادر مرة أخرى : قلت لكم اسمي سادر بن علام وصاحبي الفارس رمان من أهالي مدينة السلام .

فقال رجل منهم : حياكم الله .. وأهلا بك .. نحن هاربون من عدونا أيها الفارس

جلس سادر على الوسادة التي قدمت له ، والتف القوم حوله، بعضهم قاعد وبعضهم قائم ، وعاد الذين يصنعون الطعام إلى إعداد الطعام فقال رجل : نحن قوم هاربون من بلدتنا .. لقد تجبر علينا قومنا وبغوا علينا.. وقتلوا أمراءنا وسادتنا .. وهذا الرجل الذي يرقد على السرير ـ وأشار إلى شاب مسجى على نعش ـ ابن ملكنا الذي مات قبل أيام ، ولما أردنا وضعه مكان أبيه تمرد عبيدنا علينا ، ونصبوا عبد مولانا الملك مكانه وانضم إليهم أوباش مدينتنا .. فهربنا بابن ملكنا المريض وأمه وأخته ونسائنا ، ومن أحب الهرب معنا ، ونحن قاصدون

مدينة السلام وما حولها من المدن لننعم بالسلام والأمان عند مليكها جوهرة الزمان القاضي بلال شهر .. هذه قصتنا أيها الفارس سادر بن علام .

وقف سادر وهو يقول : لي صديق ، وهو ليس عنكم ببعيد سأذكر له خبركم لعله يرضى بمساعدتكم ، فهو فارس صنديد من فرسان الملك جوهرة الزمان كما قلتم القاضي بلال .

وعاد لرمان بن سنهار وحدثه بها سمع ، وجاءهم رمان وكله شهامة وحمية ، ولما تحدث معهم عاد يقول : كم فارسا أنتم؟

فرد كبيرهم : نحن عشرون فقط ، ومعنا بعض الجرحى والخدم والنساء .

فقال رمان بشجاعة وحمية وغضب : كم فرسان مولاكم الملك الذين ظلوا في المدينة تحت إمرة العبد ؟.

فرد كبير القوم : كثيرون أيها الفارس الشهم .

فقال رمان بقوة وحماسة معهودة فيه سابقا : قررت الوقوف معكم .. والفتك بهذا العبد اللئيم يبدو أنني أحببت العمل مع الملوك على غير هواي ..سنذهب الرجال جميعا إلا الضعيف .. ويبقى العبيد والنساء هنا ونغزو بلدكم .. فما تقولون ؟

فقال الرجال وقد تحمسوا من كلام رمان : نحن تحت أمرك أيها الفارس الشهم .

فقال رمان : فليستعد رجالكم للعودة معنا ورتبوا أموركم مع ملككم المريض .

ومع بزوغ الفجر كان رمان وسادر يتقدمون الرجال نحو مدينتهم وهم يعتلون صهوات الجياد ، وبعد مسير يومين وصلوا المدينة ، وطلب رمان من بعض الرجال الاتصال بفرسان الملك وجنده السابقين لمساندتهم ، وتقدم هو والآخرون نحو قصر السلطان ، وقال رمان لأحد العبيد الحراس على مدخله : اخبر سلطانك أن رمان بن سنهار يرغب بمقابلته .

وكان العبد الحاكم يقف على شرفة مطلة عليهم فصاح منها : من أنت أيها الحقير لتصيح في أسيادك العبيد ؟! .

فقهقه رمان وهو ينظر إلى فوق يحث يقف العبد المتمرد الضخم وصاح بصوت كأنه

قصف رعد : كأنك لم تسمع بي يا عبد السوء !.. أيها العبد الخائن .. تطرد مولاك ولي نعمتك وتتحكم في رقاب أهل هذه المدينة الصغيرة .. لكأنك فارس وند للفرسان .. فاهبط إليّ أيها العبد اللئيم .

استشاط العبد غضبا على غضب ، واشتعل رأسه نارا ، واحمرت عيناه من قسوة الكلام الذي سمعه ، وكاد يقفز من شرفة القصر ليدق عنق شاتمه وصاح : انتظر أيها المغرور الكبير .. سترى فعال العبد معك يا ابن سنهار .

بعد قليل خرج العبد من القصر، وهو يعتلي صهوة جواد ضخم ؛ كأنه الفيل وبيده حربة صدم بها رمان الذي زاغ عنها بمهارة الفرسان ، فهو قد أمضى سنوات عمره في مدينة السلام يتعلم الفروسية ومبارزة الفرسان ، بل يسافر إليهم ليكتسب خبراتهم ومهاراتهم ، وكان الخبر قد انتشر في المدينة فاجتمع الناس والعبيد من أنحاء البلدة لمشاهدة المعركة الغريبة .

تمكن رمان من إسقاط العبد القوي على الأرض ، وقد دارت به الأرض ، وصاح في عبيده بالهجوم عليه ، ولكن سادر والفرسان الذين معه ، ومن أسرع من فرسان الملك وجنده كانوا قد ملئوا المكان ، فبدأت المعركة الرهيبة أمام قصر السلطان، فغاصت سيوف الفرسان في رقاب العبيد الذين صدموا من قوة الفارسين، وضاع العبيد تحت أقدام الخيل وشجاعة الأبطال ، وفر الجبان من ساحة الوغى ، وأخذ الناس بمطاردة العبيد والتنكيل بهم ومساعدة الفرسان ، وما دخل الليل حتى كان رأس العبد الكبير المتمرد معلقا على رمح طويل على مدخل القصر؛ ليكون عبرة لكل غادر وجبان ، وقام الجنود بالفتك بالعبيد والتخلص منهم ، وتم النصر على العبد الأسود ورجاله ، وما نجا إلا الذي تمكن من الهرب والابتعاد ، ومن لم يكن داخل المدينة أثناء المعركة ، ولما استقرت الأحوال أرسل الفارس رمان وفدا من الفرسان للعودة بالملك المريض ومن معه ، والذي فرح كثيرا بما سمع من الأخبار، ومن ثم عرض على الفارس رمان أن يصبح وزيرا له فاعتذر الفارس وقال: لا أستطيع أيها الملك السعيد .. سنبقى ضيوفك بضعة أيام، ثم أتابع مسيري أيها الصديق .. وعندما تحتاجنا

فأرسل إلينا في مدينة السلام نكون تحت خدمتك .

عاد الهدوء للمدينة الصغيرة بعد ثورة العبيد الذين قتلوا شر تقتيل جزاء غدرهم ، وطرد الأحياء منها ، وبعد أيام تابعا السفر نحو مدينة كسروان ، فحلا فيها بعد سنوات من الفراق فقد كبرت سنهما ، وتغيرت بعض ملامحهما ، فاشتريا بيتا على أنهما غريبان يرغبان بالحياة في مدينة كسروان، فكان رمان يقول لسادر: كيف سنعيش في هذه المدينة وقد تعودنا على الحياة الهادئة حياة الفرسان والشرفاء ؟! .. لقد أحسن إلينا القاضي وقد أساء ، أحسن إلينا بأن جعلنا من الفرسان الشرفاء الذين يخدمون الحكام والسلطان ، وقد أساء إلينا بأننا بعد كل هذه السنين لن نستطيع السرقة والاختلاس، فكيف سنسرق وقد أصبحنا من الفرسان؟! .. صراع في داخلي وحيرة تظلل أفكاري أيها الصديق .. أنت ماذا سميت نفسك ؟ .. عفيف بن شريف .. وأنا ماذا ؟ فارس بن فرساني .

فقال سادر بعدما صمت صاحبه عن الكلام : ماذا سنعمل هنا يا فارس الفرسان ؟

لزم رمان الصمت حينا ثم قال : نحن لا نحب العمل المقيد.. نحن نحب العمل بحرية .. ولكن المال لابد له من مصدر ..فلو التحقنا بفرسان الملك رغم صعوبة الحصول على ذلك لن نصبر على الأوامر .. إنني بدأت أندم بتركي مدينة السلام لقد كنا من السادة.. يا ترى ماذا حل بزوجاتنا من بعدنا ؟ ..أنا جئت لقد حننت لأمي وأخي فمنذ أن التحقت بعصابة سواح لم أرها منذ عشرين سنة .. يا الهي !! ..لا أدري هل أمي حية يا سادر؟ وأخي أنا لي أخ شقيق من أبي وأمي .. هل صار لي إخوة آخرون لقد هجرتهم ؟! .

فقال سادر : وأنا مثلك يا صاحبي تركت الأهل الأم والإخوة الثلاثة الأصغر مني وانضممت لرجال سواح .. ولي أختان أيضا .. تجاوزنا الثلاثين من العمر أيها الفارس .. سواح ما أخباره يا ترى ؟!

وبعد يومين من استقرارهما في المدينة كانا بين يدي حاكم كسروان ، فقد قبض عليهما الجنود ، وكان هذا الحاكم ابنا للملك السابق الذي توفاه الله وهم في مدينة السلام ، وتم

تنصيب ولده مكانه ، وقد تغير الوزير والقاضي أيضا ، فلما مثلا بين يدي الملك قال لهما : إنكما غريبان عن المدينة .. أليس كذلك ؟!

قالا: بلى يا مولانا الحاكم نحن من مدينة السلام التي يحكمها القاضي بلال شهر .

فقال الملك الشاب بصراحة : أنتما لستما جاسوسين ؟

فقال رمان : جاسوسان ! .. لا يا مولانا .. ومن قال عنا ذلك أيها الملك الكبير لنا يومان فقط في مدينتكم .

التفت الملك لوزيره وقال : يومان فقط لهما في مدينتنا أيها الوزير .. ماذا فعلا ؟

قال الوزير : العيون قالت إنهما دخلا المدينة وسكنا منزلا واختفيا فيه ولم يخرجا.

فقال الملك : أحقا أنتما من مدينة السلام ولستما من أعوان ملك أسد دار؟!

فأقسم رمان بأنهما قادمان من مدينة السلام ، وقال رمان : أبدا يا مولاي نحن من مدينة السلام وباستطاعتك أن تتأكد من ذلك ، ونحن في خدمة مولانا الملك وما نحن بعيون بل نحن من فرسان القاضي بلال .

فالتفت الوزير للملك قائلا : يبدو أنه قد حصل خطأ في القبض عليهم من قبل الجند.

فقال الملك : خطأ !.. أوضح الأمر لهما يا وزيرنا وتأكد من أنهما من مدينة السلام وليسوا عيونا لأحد .

فأخذهما الوزير من مجلس الملك وقال لهما معتذرا : بما أنكما غريبان سأوضح لكما جلية الأمر ونحن نرحب بالضيوف المسالمين .. لقد دارت بيننا وبين ملك أسد دار رحى الحرب منذ أربع سنوات سقط فيها كثير من الفرسان والأبطال والسادة الوزراء والقضاة .. وتم الصلح بيننا وإنهاء المعارك، ولكن ما زال الوضع متوترا بيننا ، ويرسل علينا الجواسيس والعيون وقد سقط الكثير منهم في أيدينا ، ونحن لنا عيون هناك من التجار وغيرهم .. فأرسلوا إلينا إشارة بدخول جواسيس البلدة ، فرصدنا مجموعة منهم ، وهم تحت عيون رجالنا ، وكان ينزل في البيت الذي تسكناه رجلان منهم ، فيبدوا أنهم عرفوا بمراقبتنا لهم ، فهربا ووقعتما أنتما

بدلا عنهما .. فاقبلا اعتذارنا نيابة عن الملك .

فعجبا مما سمعا من الوزير عن الحرب والقتال ورد رمان على الوزير قائلا : أيها الوزير قبلنا الاعتذار ونحن في خدمتكم وإذا رغبتكم بأسر وخطف ملك أسد دار وإحضاره لبين يدي الملك فأنا وصاحبي مستعدان لذلك .

وقص عليه قصة القاضي بلال حاكم بلاد السلام والملك صاحب أسد دار، فاستغرب الوزير مما قال رمان وقال : سأفكر بما تعرضان علينا .

وفارقا القصر بأمان وهما يتعجبان من تغير الأحوال والناس خلال مدة هربهما لمدينة السلام ، فقد مات الحاكم ومات القاضي ، وقد حزنا على ما أصاب البلد من خسارة أثناء الحرب وقال سادر : أعتقد أن الملك إذا سمع حكايتنا مع ملك أسد دار سيوافق على خطف ملك أسد دار.. أرى أن العمل قد فتح علينا .. فالراحة التي كنا نشكو بوادرها لا تريد أن تهب علينا .

فعلق رمان ساخرا : العمل عند الحكام والسلاطين أفضل من العمل مع الخفافيش وسواح .. نريد أن نعرف أخباره بذكاء يا سادر .

بعد أيام طلبهما الملك الجديد واستمع لقصة أسرهما للملك أسد دار وسر من حيلة القاضي لتجنب ويلات الحرب ، ولما انتهيا من قص المغامرة أمام الحاكم قال لهما : وهل تستطيعان إعادة الكرة .. وإحضار ذلك الملك مأسورا ذليلا إلى هنا ولكما ما شئتما ؟! فلي ثأر عند ذلك الملك ، فقد قتل أخي الأكبر في المعارك على يديه؛ فإذا نجحتما في هذه المهمة الكبيرة فستصبحان من المقربين لعرشنا، ولكما منا ما ترغبان

فقال رمان : أيها الملك نحن في خدمة عرشكم .. سأنفذ رغبتك وسوف ترى ملك أسد دار ذليلا أسيرا بين يديك .

ولما تجهزا لأسر ملك أسد دار رحلا ، ولما قطعا المسافة بين كسروان ومدينة أسد دار في عشرة أيام تنكرا بلباس عباد الصوامع والرهبان ، ودخلا المدينة على أنهما راهبان مارّان من أسد دار ، وطلبا لقاء الملك وزيارته، فاستقبلهما ورحب بهما وقال لهما : أيها الراهبان الجليلان

من أي البلاد أنتما قادما ؟

فقال رمان الراهب : أيها الملك الكريم لقد دخلنا مدنا كثيرة .. مررنا بعبدان وهروان وكسروان ومدينة السلام وها هي المدينة الخامسة في رحلتنا الدينية في البلدان وزيارة ملوك الزمان وأمراء الأيام .. نهب لهم البركات والدعوات ونأخذ منهم الهبات والعطيات حتى نعود لمعبدنا الكبير معبد الشيخ رهبات شيخ مشايخنا كما تعلم يا ملك الزمان .

تمتع الملك من أحاديث الراهبين ، وقد استمع لأخبارهم وعبادتهم في قمم الجبال وبغضهم للدنيا والأموال.. فتحمس سادر الراهب وقال : يا ملك الزمان ما أحلى الحياة على قمة الجبل مع العباد والرهبان والخلوات ونسيان المشاكل والهموم والحروب والأسقام ، والأكل القليل بدلا من ملء الكروش بالدهون والحشوات! .. آه .. لو تجرب مثل هذه الحياة بضعة أيام لتزهد في الحكم والملك .

فضحك الملك وقال : أيها العباد أنتم لكم واد ونحن لنا واد ، لا تصلح الدنيا إلا بملوك يسوسون الناس بالعدل والإنصاف وترك الجور والظلم .

فقال سادر : والحروب التي تجري بين الملوك أليست من الجور والظلم ؟

وهنا قال رمان : يا ملك الزمان ونحن داخلان المدينة رأينا جبلا عظيما شاهق الارتفاع مسبحا للرحمن .. قلت لصاحبي إنه يصلح أن يسكن عليه العباد والرهبان لو يأذن لنا مولانا الطيب الكريم بأن نجعل عليه صومعة لنا تبقى ذكرى على مر الزمان .

فقال الملك : أي جبل تقصدان ؟

قال سادر : يسميه الناس عندكم جبل الريح ذاك الجبل العالي .. نبني عليه معبدا صغيرا يبقى هدية من ملك أسد دار لهذين العابدين الزاهدين في دنيا الناس ويكون محطة استراحة للرهبان العابدين المارين من بلادكم العامرة .

فقال الملك : افعلا ما شئتما أيها العابدان .. يا وزيرنا يا رنان ساعدهما في بناء الصومعة في قمة جبل الريح .. وأكثرا لنا من الدعوات للانتصار على أعداء الدين والدنيا يا شيخا

الزمان .

فقال رمان : لن ننسى معروفك أيها الملك الطيب .. سنكثر من الدعاء في الليل والنهار وأثناء الصلوات .



وسارا بالوزير إلى الموقع الذي يرغبان بإقامة صومعة لهما عليه، ولما وصلا للمكان المقصود كان الوزير قد هلك من التعب فقال : مكان بعيد وعال !

فقال سادر: نحن العباد نحب البعد عن الناس يا مولانا الوزير أدام الله عليك الوزارة وأعطاك ما في نفسك إنه كريم جواد .

أمر الوزير الصنّاعين ببناء صومعة للزاهدين بأسرع وقت ، ولما اكتمل البناء، رغبا من الملك ووزيره مشاركتهما الدعوات الأولى في الصومعة ، له ولشعبه وجنده ، وطلبا منه أن لا يحضر أعددا كثيرة من البشر والحرس ؛ ليتم الابتهال والدعاء بسكينة وروية ، فوعدهما بالحضور هو ووزيره وفارسه القوي شرار لسماع دعواتهما له بالنصر والنجاح على الأعداء، ولما سمع رمان وعد الملك بالزيارة قال: سنسمي هذه الصومعة المباركة صومعة الملك سعيد بن هاد .

وبعد أيام شاهدا الملك ووزيره رنان والفارس شرارا يصعدون إليهم على ظهر الجياد ، ولما قربا من المكان كانت رائحة البخور والعطور تملأ الجبل ، فلما قربا من باب الصومعة قال الملك : رائحة منعشة أيها الوزير ! هؤلاء الرهبان لديهم طقوس غريبة .. وحياتهم عجيبة لا أولاد ولا نساء ولا أطفال .. انظر إنهم يعيشون في قمم الجبال بعيدا عن الناس .. أديان عجيبة !

وخرج رمان من الصومعة صائحا فرحا رافعا كلتا يديه إلى السماء ، يتبعه سادر

يرحبان بالضيوف وقال : مرحبا مولاي الملك الطيب! .. مرحبا بمولاي الوزير رنان! .. أهلا بفارس الملك شرار !.. لقد هيئت البخور والطيب لتسمعا أجمل الدعوات والذكريات .. تفضلوا يا مولاي ..

نزل الملك عن جواده ودخل الصومعة المعتمة الغارقة بدخان البخور والطيب المحروق ، ثم تبعه الوزير وظل شرار في الخارج ، وأخذ سادر يرش بعض الطيب على موقد البخور وهو يقول بخشوع : أهلا بملك الزمان صاحب الخير والفضل على العباد طول الزمان لماذا تأخر فارسك بالدخول يا مولاي ألا يحب سماع الدعاء والثناء لعله يصيبه شيء من الخيرات ؟ .. ادعه يا راهب الليل للاستماع والبركات وينشغل معنا بالدعاء والتمجيد لمالك السموات والأرض .

ففتح رمان باب الصومعة ونادى على الفارس طالبا منه الدخول لسماع الدعوات والتوسلات فدخل رهبة من الشيخ وصوته القوي ، وأخذ الراهب سادر يزيد في البخور والعطور ، وكان رمان يبتهل لرب السموات بتوفيق الملك سعيد في الدنيا والآخرة ونصره على خصومه وحساده ، وبعد ساعة من الدعاء الحار كان الثلاثة يأخذون الأرض نياما ، وتم ربط شرار ، وأخذا الملك ووزيره رنان مكبلين على ظهر جيادهما ، وسارا بهما نحو كسروان ، فوصلاها بعد عشرة أيام ، وألقي الرجلين أمام ملك كسروان وهما مقيدان بالحبال ذليلان مهانان ، فقال لهما حاكم كسروان : كيف ترون أنفسكم الآن ؟

ولكن الملك المقيد كان يحلق في عيون رمان بعدما رآه بغير ملابس الرهبان: هذه العيون عرفتها ! .. وها أنت تخدعنا مرة أخرى .. أنت شيطان كبير .. ثم أدار رأسه نحو الملك وقال بغضب : أيها الملك ماذا تريد من الملك سعيد بن هاد لتأتى به ذليلا مهانا أسيرا مخدوعا ؟! .

فقام الملك وقال : الثأر أيها الملك !.. لم أنس دم أخي دربان .. وما حل بقومي من الحرب التي أشعلتها طمعا بالمال والنسوان فخسرنا الرجال والفرسان .

فقال الملك سعيد : هذه حرب انتهت منذ زمن أيها الملك وتصالحنا عليها .. واعلم أن

ورائي فرسان وأبطال .

فابتسم الملك وقال لخصمه : لا يعرفون أنك هنا .. وأيضا ما زالت عيونك تدخل بلادنا .

فقال الملك الآخر : وجواسيسك أيضا في البلاد .. وهذا غدر ونقض للصلح يا ملك كسروان

فقال الملك : هذا الفارس .. فارس بن فرسان أخبرني أنه سخر منك قبل هذه المرة لحساب ملك مدينة السلام ؟

فقال الملك بحقد وانكسار : إنه إبليس اللعين ! إنه بارع في الخداع والتخدير .. وهز رأسه ساخرا وقال : فها هو باسم جديد في هذا المكان .. فارس بن فرساني ..فماذا تريد مني أيها الملك ؟!

فقال الملك : أرغب بسفك دمك ثأرا لأخي ولأبي الذي مات مفجوعا على ما فقد من الفرسان .

فقال سعيد : العفو يا ملك الزمان من شيم الأكارم .. وسأدفع الفدية التي تريدها عني وعن وزيري .. وأعاهدك بأن لا تقع بيننا الحرب ثانية ومدى حياتي .. الرحمة يا ملك الزمان .

أشفق الملك ورق قلبه لاستغاثة الملك ، وطفرت عيناه دمعا من كلام الملك سعيد .. وقال والدموع قد ملأت آماق عينيه : أحزنتني أيها الملك ! لقد قيل لي إنك جبار قاس القلب والرأس !..أشفقت عليك يبدو أن فارسنا قد أتعبك في الطريق .. إنها مسافة طويلة .. أنت ضيفي أيها الملك .. أمهلني أياما فيما عرضت من إنهاء الحرب مدى الأيام بين كسروان وأسد دار.

وأمر وزيره بإكرامهما ، وإنزالهما قصر الضيافة حتى ينتهي من مشاورة أهل الرأي والمشورة .

عفا ملك كسروان عن أسيريه بدون فدية ، واتفقا على إنهاء الحرب بين مدينتيهما إلى الأبد ، وإنهاء التجسس والعداء بينهم ، وزيادة التجارة بين البلدتين ، وبعد إكرامهما ودعهما الملك إلى أطراف المدينة ، وعندما اقتربت لحظة الفراق.. قال الملك سعيد لملك كسروان : هب لي فارس بن فرساني يا ملك الزمان .. سأجعله وزيرا عندي ..

فقص الملك على الملك قصة تعرفهما على فارس وصاحبه عفيف فقال الملك سعيد ضاحكا : إذن القبض عليهما خطأ بدلا من جواسيسنا أدى لخطفنا .. إنهما جريئان !.. ليتك تكرمني بهما

فقال ملك كسروان : دعك من ذلك .. فسوف أبقيهما في بلادنا وأجعلهما من فرساننا الكبار.. ألا تبغي بتعزيز أواصر المحبة بيننا قبل هذا الفراق ؟! .. ابعث لنا بعروس من بلادكم لولدي نصر .

احتضن الملك سعيد الملك وقال باسما : ابشر يا ملك الزمان ! سأرسل له أختي نهار .. فهذا خير لنا جميعا .

فهتف الملك قائلا : بما أنك وافقت على النسب بهذه الأريحية أيها الملك الكريم سأرسل معك وفدا كبيرا للمجيء بالعروس .

وضحك الملك سعيد وقال : على أن لا يكون فيه فارس وصاحبه .



وضحك الملكان ، ونصبت خيمة كبيرة لبقاء الضيف حتى يتجهز وفد كبير لمرافقته والمجيء بالعروس نهار ، وقد علم أهل كسروان أن الملك منح لفارس وعفيف قصرا ، ولقب فارس السلطان وعفيف مثل ذلك ، وفرح الناس بالصلح الذي تجدد بين المدينتين المتحاربتين ، وكذلك إنهاء كل أشكال العداوة والبغضاء بينهم ، وأقام الملك حفلا كبيرا في قصره على شرف الفارسين فارس وعفيف، ومنحهما حق المواطنة بكسروان ، وبذلك يحق لهما الزواج من بنات كسروان ، فسعد الفارسان بهذه الأخبار وهمس رمان في إذن سادر : خرجنا لصين هاربين فعدنا فارسين .. إيه .. الحياة بالقرب من السلاطين أحلى من الحياة في الجبال ومع سواح .

لما استقرا في قصرهما الجميل اتفق الفارسان على البحث عن أهليهما بعد كل هذه السنوات الطوال من الاختفاء والضياع ، وبحثا عن أصدقائهما القدامى من غير أن يعرفا بنفسيهما ، فهما راغبان في معرفة أخبار سواح من غير كشف سرهما لأحد

ولما انتهى زواج الأمير نصر من الأميرة نهار أخت الملك سعيد ، طلب منهما رئيس الفرسان الاستعداد لمسابقات الفرسان المعتادة في البلاد ، فاستفسرا منه عن هذه المسابقة ، فأخبرهما أنه تحدث كل سنة في أواخر فصل الربيع مسابقة للفرسان على خيولهما الأصيلة والقوية ، والمتقدمون العشرة في السباق ينالون جوائز ملكية وهدايا من الأمراء والأميرات ، وتكون فرصة للأميرات العازبات من الزواج من كبار الفرسان ، فقال الرجل منهيا الطلب ومشجعا لهما : قد تقع بعض الأميرات في هواكم ، وتتزوجون منهن .. فجربا حظكما .. لعلكما تناسبان وتصهران الملك نفسه .. فهو يسمح لقريباته من الزواج من الفرسان الأقوياء والشجعان

أخذ فارس القصة ينظر لصاحبه ، وقد أصابه وميض من الحزن والذكريات، فقد تذكر الفارس حدرد وقال : كنت أسمع عن فارس مهم أيها الرئيس .. عن فارس كأن اسمه حدرد حدرد أجل حدرد ؟!.

قال رئيس الفرسان : عجيب أتسمعان به؟! .. نعم ما زال موجودا .. كان فارسا متفوقا قديما وبطلا من أبطال كسروان.. ولكنه تعرض مرة للغدر من بعض المجرمين ، وسرقوا حصانه ، فتأثر ألما من يومها ، وتعرض لبعض الجروح في حروبنا مع أسد دار فضعفت همته عن المسابقات والمنافسات.. رغم دفعه الآلاف لعودة حصانه يومذاك .. وما زال يحمل لقب فارس السلطان .. ويحضر إلى ميدان السباق للفرجة فقط .. وهو زوج لإحدى الأميرات .

فتنهد الفرسان عميقا لمَ سمعا ؛ وكأنهما شعرا بالندم والأسف لمَ فعلا لذلك البطل من إحزانه على حصانه ، وقال سادر : سأفكر بالمشاركة أيها الرئيس .

فضحك الرئيس وقال : يجب أن تشاركا.. فعلى الفارس الذي يمنحه الملك

لقب فارس المشاركة ثلاثة أعوام متتاليات في هذه السباقات .. ثم يسمح لهم بالاعتذار بعد ذلك .

فعاد لرمان غروره القديم وقال : أيها الرئيس .. نحن غريبان.. فنخشى إن فزنا على أقراننا أن يحسدنا هؤلاء .. ونتعرض لما تعرض له الفارس حدرد .

فأجابهم الرئيس : منذ سنوات بعيدة لم نسمع بحادثة لفارس ، ولم تتكرر حادثة حدرد .. وقد خف المجرمون في مدينتنا بعدما قضى والد مليكنا على المجرم سواح ورجاله .

فقال رمان بخبث : هذا المجرم سمعنا ببعض أخباره في مدينة السلام .. وهل قتلتموه أيها الرئيس ؟

فقال رئيس الفرسان : مجرم شرس.. له حكاية طويلة يتحدث بها العوام .. وذلك من قبل عشر سنوات أو أكثر.. وقد زاد فساده في المدينة والإجرام ، أصابت البلاد سرقات كبيرة من سواح وعصابته حتى أنهم سرقوا خزنة الملك ، ولكن بعدها وقع أكثرهم في الشبكة ، وتم إعدامهم أمام الناس.. وهرب آخرون لخارج البلاد .. منهم مجرمان كبيران أحدهما يدعى رمان بن سنهار والآخر سادر بن علام ، وبعد ذلك تقلصت الجرائم في بلادنا ، وقد فقدنا أثر المجرمين الهاربين ، واستقر الأمن والسلام في البلد بعد ذلك .. ثم اشتغل الناس بالحرب والقتال أربع سنوات.. راح فيها مئات الأبطال والرجال والكثير من الأموال إلى أن تم الصلح بيننا ، وعاد الهدوء للمدينة من جديد .. لقد أطلت الحديث معكم .

فرد رمان : لا .. لا .. بل هو حديث ممتع أيها الفارس .. على كل حال سنشارك في المسابقة أنا وأخي عفيفا ، لعلنا نصطاد امرأتين تقر أعيننا إليهن.. ونصبح من الأسرة الحاكمة ، فهذا حلم جميل ما كان يحلم به رمان بل فارس الزمان أنا . وأخذ يضحك بصوت عال وفعل مثله سادر.

وخرج رئيس الفرسان مسرورا بموافقتهما ، لرغبة الملك بمشاهدتهما على ظهور الجياد ، فلما ابتعد الرجل قال رمان بحزن : لقد مات سواح وأكثر الرجال .. لقد عاد بنا هذا

الفارس للوراء سنوات وسنوات يا سادر.. هل نهرب ثانية أم نتزوج ونغرق في دنيا هذه المدينة وننسى الماضي ؟ .. إنهم ما يزالون ينعتوننا بالمجرمين ويذكروننا .

فقال سادر: يا صاحبي! .. الهرب ثانية ! .. نشارك في هذا السباق وبعدها نفكر بما نفعل .. قد نجد مغامرة ننسى معها الماضي الجميل .



في يوم السباق نزلا الميدان ، كل منهما على حصان من خيول الملك ، وتجمع الملك والناس في ساحة كبيرة لمشاهدة انطلاق الخيول المتنافسة ، ومن ثم الاستمتاع برؤية الفائزين ، وقام الفرسان المشاركون بالمرور من بين يدي الملك والحاشية لتحيته ، ويذهب كل فارس للاصطفاف في المكان المعد له ، وتقدم الفارسان على جواديهما وحييا الحاكم والحاشية ، واصطفا حيث أشار لهما رئيس الفرسان ، وانطلق السباق سباق الخيل ، وبعد ساعة من الزمان بدأت تعود الفرسان للميدان ، الأول فالثاني فالثالث وصل كل المشاركون ما عدا فارس وعفيف .

فظهر القلق على وجه الملك والوزير وكل من يعرف الفارسين ، فسأل الملك رئيس الفرسان قائلا : لم يعد الفارسان يا ملام ؟!

فقال رئيس الفرسان بقلق هو الآخر : أمر غريب يا مولاي ! بعد أن نوزع الجوائز على المتقدمين سوف أتحرى أمرهما .

قام الملك بتوزيع الجوائز على مستحقيها من الفرسان وانهوا الاحتفال ، وبدأ رئيس الفرسان يسأل المتسابقين عن الفارسين ، فقال له أحدهم : لقد سقط عفيف عن حصانه بالقرب من واد اللبان .. وتدحرج لأسفل الوادي .. فترك رفيقه فارس جواده ونزل يبحث عليه .

فقال رئيس الفرسان : حدث هذا أثناء الذهاب أم الإياب ؟

فرد الرجل : ونحن عائدون .. وكانا متقدمين على كل الفرسان ، فلما حدث السقوط المفاجئ توقف فارس بصعوبة ونزل يبحث عن رفيقه .

فقام رئيس الفرسان بإرسال الفارس وعدد كبير من الفرسان للبحث عنهما والإتيان بهما ، وذهب الرئيس لاطلاع الملك على جلية الأمر ، لقد قام رمان بإنقاذ صديقه سادر ، وأخرجه من الوادي مهشم الأضلاع ، وحمله إلى قصره ، واستدعى له طبيب القصر الملكي ، لقد كان الحادث الذي تعرض له سادر حادثا خطيرا ، فقد تكسر من شدة الوقعة ، فحزن عليه رمان حزنا شديدا ، وجزع عليه من الموت ، وأتاه الملك لعيادته والأمراء والوزير ، وأوصى الملك طبيبه الخاص بالإشراف على مداواته ؛ ولكن كان ظهره مكسورا لا أمل له في الحياة الطويلة ، وشعر سادر بالموت ، فأوصى صديقه رمان أن يتابع البحث عن أسرته بأي وسيلة ، ويهبهم ميراثه والأرض التي منحها له الملك ، وقال أخيرا لصديقه العزيز : لا تحزن كثيرا عليّ يا حبيبي ويا أخي! وتذكر يا أخي أنني منذ تعاهدنا وأنا مخلص لك ، وقد أخبرتني زوجتي في مدينة السلام عند الفراق أنها حامل فابحث عن ابن أخيك ، واهتم به وارعه.. ولسوف نلتقي عند مليك مقتدر .. وداعا أيها الصديق الحبيب .

فمات سادر بعد هذا الحادث الكبير ، وحزن عليه رمان حزنا شديدا ، قد لا يحزنه على موت أمه ، ومكث أياما طويلة في بيت الأحزان إلى أن زاره حاكم المدينة عدة مرات ، ثم أقسم عليه أن يترك الحزن والبكاء، فدخل حمام السلطان واغتسل وترك بيت الحزن ، واشتد في البحث عن أهل سادر ؛ ولكن كيف سيبحث عنهم وهو يحمل شخصية أو اسما غير اسمه الحقيقي ؟ وكذلك صديقه الميت ، وأرسل رسالة إلى مدينة السلام يسأل عن أخبار زوجته وزوجة أخيه سادر ، وهل ولدت بعد رحيلها ؟ ولما عاد التاجر بعد أشهر أخبره أن زوجة صاحبه قد أنجبت طفلا ، وأسمته سادرا على اسم أبيه ، وهي في انتظاره لم تتزوج بعد ، وأما زوجته فلم تنجب ، وقد تزوجت من أحد البشر ، فقرر رمان عندئذ أن يدخل على الملك ويعترف له بماضيه ليستطيع البحث عن أهله وأهل سادر، فإما أن يسجنه الملك ويقتص منه أو

يعفو عنه ، وبعد أن فكر بالأمر مليا طلب الخلوة بالملك الذي استمع إليه باستغراب كبير ، ودهش الملك من جرأته وجسارته ومغامراته ومن لصوصيته ومن عمله عند الملوك والحكام ، ولما انتهى من حكايته التي سردناها عليكم احتار الملك بالجواب، ماذا يفعل به بعد أن علم أنه رمان ذو التاريخ القديم الهارب من قبضة العدل ؟! فقال الملك بعد صمت طويل وعميق وحيرة : سأرسل وراء القاضي جلال وهو الذي سيقول كلمته فيك .

فقال رمان متضايقا: مولاي الملك ! جئت معترفا لك لتحكم عليّ أنت بالموت أو تعفو عني أو تنفيني من البلد .

فقال الملك : قصة مثيرة !! .. القاضي هو الذي سيقرر ذلك أيها الفارس .. أنت كنت لصا .. والآن أصبحت فارسا وبطلا في أكثر من مدينة .

فلزم رمان الصمت العميق ، وأرسل الملك وراء القاضي جلال الذي لبى النداء سريعا ، وكان شابا قد تجاوز الثلاثين من عمره ، فسلم على الملك وقال : أرسل مولاي ورائي !

كان رمان متعجبا لدعوة الملك لهذا القاضي ، وتعجب أكثر عندما وجده شابا ؛ ولكنه صبر ليرى ماذا يقصد الملك من وراء دعوة هذا القاضي ليتدخل في هذه القضية ؟! فسمع الملك مخاطبا : أيها القاضي العزيز.. هذا الرجل لابد أنك تعرفه

نظر القاضي بعينيه لرمان وقال بدهشة : هذا فارس فارسكم أيها الملك ومن لا يعرفه ؟! .

فقال الملك : أيها القاضي العزيز .. كم عاما لك في القضاء ؟

قال القاضي بحيرة : منذ بضع سنين يا مولاي .

فقال الملك : هذا الفارس قبل أن يمنح لقب فارس من قبلنا منح هذا الوصف من ملك مدينة السلام ، ومنح لقب وزير وفارس من ملك عبدان ولكنه استعفى ، وجاء كسروان وقدم لنا خدمة جليلة أنهت الحرب بيننا وبين ملك أسد دار ، فوهبناه قصرا ولقب فارس سلطان .. وجاءنا اليوم يقول بأنه كان لصا شرسا محترفا ومغامرا صعلوكا قبل ذلك ..

فتعجب القاضي وهو ينظر في عيني رمان وهمس : لصا ! كيف ذلك يا مولاي ؟!

فقال صاحب التاج : كان هذا الرجل يعمل لصا في مدينتنا مع ذلك المجرم القديم المعروف للصغير قبل الكبير ..ذاك المجرم سواح .. هل تذكره ؟

فقال القاضي : ومن لا يذكر ذلك المجرم العتيد الذي روع النساء والأطفال والقضاة والسلاطين ؟! ولكن كفانا الله منه.. وقتل شر قتلة .. وأصبح عبرة لأهل كسروان جميعا .

فضحك الملك وقال باسما : لم يكن سواح ذاك أمام هذا الفارس إلا كطفل صغير .. كان ذاك مجرما يحب الفتك والسفك الدم الحرام ، وكان هذا لصا ذكيا يعتدي على أموال الملوك والقضاة والفرسان، ثم تمكن من الهرب وأصبح شريفا وعاد ليكون شريفا في بلادنا وباحثا عن أمه وأهله .

فقال رمان مقاطعا : أيها الملك ! احكم عليّ وعجل بموتي ، ما عادت تطيب لي الحياة بعد أخي سادر ، أحببنا بعضنا حبا جما ، ما افترقنا منذ التقينا عند المجرم سواح ، كنا أصغر القوم وتعاهدنا على الوفاء معا .

وبكى رمان على ذكر صاحبه سادر بكاء مرا .

فقال الملك : تمهل أيها الفارس .. ستسمع حكمنا عليك بعد أن يتكلم القاضي جلال بذلك .. يا قاضينا .. هذا الفارس الذي أمامك كان لصا في جماعة سواح وهو الذي أوقع ضربات موجعة بنا ووقع سواح نيابة عنه وهرب هو وسادر .

فتمتم القاضي وهو يحدق النظر إلى رمان : أتعنى أن هذا الرجل هو رمان بن سنهار الهارب من قبضة العدل ؟!

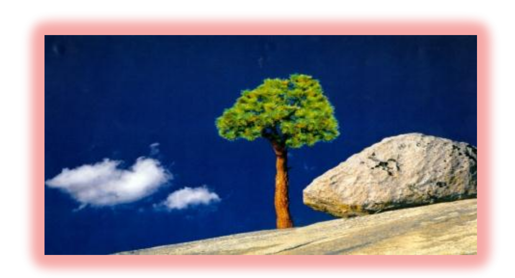
فتنهد الحاكم وقال : نعم ، أيها القاضي .. هذا هو رمان بن سنهار .. ذاك اللص القديم ، لقد عاد للبلاد بوجه وثوب الفرسان ، وهو حقا من الفرسان .. فلما اعترف بحقيقته أمامي ، فقلت له سأسمع حكم القاضي جلال فيك .

فقال القاضي وهو مضطرب: مولاي الملك أتعرف من أنا بالنسبة له ؟!

فقال الملك بجد وقوة وابتسام : طبعا ولماذا أرسلت وراءك أنت بالذات ؟! ..

أعرف أنه أخوك رمان يا ابن سنهار .

وقف رمان دهشا ذاهلا وصاح وهو يحدق النظر في القاضي الذي يبادله النظرات : ماذا قلت أيها الملك ؟! هذا أخي جلال! .. مولاي .. أيعقل هذا ؟! أخي أنت قاض وأنا مجرم ..؟!



وتعانق الأخوان وذرفا الدمع الغزير وقال القاضي أثناء تساقط الدموع والزفرات : إنها لحظة قاسية يا رمان !.. اعتقدنا أنك مت وانتهيت من حياتنا .

وقال رمان وهو ما زال يحتضن أخاه : كيف أمي يا جلال ؟ .. كيف زوجها وإخوتنا الجدد ؟ وصلت إليكم بعدما صارحت الملك بحكايتي ، بحثت عنكم منذ دخلت هذه المدينة لم أجد لكم أثرا .. قبل أمي عني وسلم عليها وأعلمها أني بشوق إليها.. أيها القاضي أحضرك الملك لتحكم على أخيك .. احكم بالعدل .. احكم بالموت .. بعد موت أخي سادر الدنيا أصبحت سوداء في وجهي .. فقدت الصاحب في الحل والسفر .. لقد أوصاني على ولده في مدينة السلام وأوصاني بالبحث عن أهله .. وأنا أوصيك بما أوصاني .. احكم أيها القاضي على ابن أمك وأبيك .. أنا سرت للشر وأنت سرت للعلم والخير ، وأنا سرت وراء الشر والانتقام وأصبحت من أسياده .. حتى التقيت بالقاضي بلال شهر سيد مدينة السلام فأعادني للخير والحب .. احكم يا أخي .. ولا تخش في الحق لومة لائم .

فقال القاضي : لا أستطيع أن أحكم عليك يا أخي .. سأعتزل القضاء.. فأنت فارس ولست لصا .. لم يقبض عليك أثناء اللصوصية .. لقد نجوت .. أرجوك مولاي الملك أن تكلف غيري في النظر في هذه القضية المؤلمة .

فقال الملك بأسف ظاهر : وأنا مثلك محتار أيها القاضي ! أنت مثال الخير وهو قد

كان مثال الشر؛ ولكن الخير المغروس فيه استيقظ وغيره .. وأصبح فارسا نبيلا يخدم الحكام والسلاطين .. وهو قد طلب مني خيار من ثلاثة إما الموت أو النفي أو العفو .. وسيحكم عليه الشعب في أكبر ميادين كسروان .

دعا الملك الناس والأمراء إلى التجمع في أكبر ميادين كسروان لأمر هام ، وفي اليوم المعين حضر عدد كبير من البشر من أهالي كسروان ، ونزل الملك إلى وسط الميدان ، ورمان بجواره على فرسه ، ومعهم رئيس الفرسان ، ومنادي الحاكم الذي صاح بأعلى صوته : أيها الشعب ! يا شعب كسروان !.. الملك يدعوكم اليوم لتحكموا على هذا الشاب ـ وأمسك بيد رمان ورفعها للأعلى ـ الذي تعرفونه اليوم باسم فارس بن فرساني ، وذكر دوره في وقف الحرب بين كسروان وأسد دار للأبد بعدما قام بخطف ملك أسد دار ووزيره لحساب الملك .. وكان يدعى قبل سنوات وسنوات من اليوم رمان بن سنمار .. ذاك اللص المعروف من أتباع المجرم المقتول بسيف الملك المجرم سواح.. أتذكرونه ؟ .. وقص عليهم بعض قصصه .

دهش الناس مما يسمعون وارتفع صياحهم وهياجهم ، فعاد المنادي يصيح من بين أصوات الجماهير الهائجة : " أيها الشعب الكريم ! لقد جمعكم ملككم اليوم لتحكموا أنتم عليه.. على اللص رمان.. وعلى الفارس فارس .. إما بالعفو وإما بالنفي وإما بالموت " .

تمت بفضل الله تعالى



قصص وحكايات الفوارس

مغامرات وخيال وأحلام وأخلاق وأخيار وأشرار وفرسان وشجعان

كل هذا وغيره تجده وتقرأه في هذه السلسة من القصص

الممتعة والمثيرة والمسلية

١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جفر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بربار	٨	قطبة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز وولديها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سماك